

صفات الله تعالى وموقف السلف منها

د علي بن سعيد العبيدي

جامعة الملك خالد

أبها

جوال/٠٥٠٣٢٢٣٩٦٣

بريد

aliabeedi@gmail.com

ملخص البحث

عنوان البحث:

صفات الله تعالى وموقف السلف منها.

اسم الباحث:

د علي بن سعيد العبيدي.

عضو هيئة التدريس بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية الشريعة وأصول الدين
- جامعة الملك خالد بأبها.

مكونات البحث:

يتكون البحث المائل من مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة، على النحو الآتي:
في المقدمة أوضح الباحث أهداف البحث وأهميته وخطته.

وفي المبحث الأول تناول الباحث التعريف بمفردات العنوان، وخلص منها إلى نتيجة مهمة، وهي: أن السلفية تمثل الدين الوسطي الصحيح الذي ارتضاه الله تعالى للعالمين، فهي ليست مرحلة زمنية ولكنها منهج فكري ممتد منذ صدر الإسلام وحتى اليوم والغد.

وفي المبحث الثاني عرض الباحث مذاهب الطوائف في صفات الرب تعالى في ثلاثة مطالب، مبيناً وسطية السلف في باب الصفات، ومقرراً أنها وسطية قائمة على الدليل والبرهان.

وفي المبحث الثالث بين الباحث موقف السلف من الصفات الإلهية في أربعة مطالب، ذكر فيها نماذج مختارة لأبرز القواعد والضوابط التي بنى عليها السلف معتقدهم في الصفات، مؤكداً أن طريقتهم ومنهجهم فيها هو المنهج العلمي الصحيح الخالي من التشويش والاضطراب الموجود عند المخالفين، مطعماً هذه القواعد والتقارير بأقوال السلف المتقدمين والمتأخرين الذين اتفقوا على إثبات الصفات من غير تعطيل أو تشبيه.

وفي المبحث الرابع عرض الباحث - بإيجاز شديد - جهود السلف من الأمراء والعلماء الذين كانت لهم بصمة واضحة في خدمة المذهب السلفي ونشره بين الناس، عن طريق التعليم، أو التأليف، أو تحمل الأذى في سبيله.

وفي المبحث الخامس بين الباحث كيف أن المنهج السلفي الواضح النقي كان له أثر في تراجع أبرز علماء الكلام عن مذاهبهم الكلامية، وعودتهم إلى طريقة السلف الوسطية التي تتفق مع الكتاب والسنة والفطرة والعقل واللغة، وذلك بذكر مقتطفات من أقوالهم التي حفظها لنا التاريخ.

وفي الخاتمة استخلص الباحث جملة من النتائج والتوصيات، من أهمها: ضرورة العناية بكتب السلف ومصنفاتهم في باب الاعتقاد، وذلك بتكوين لجنة مؤهلة ذات كوادرات علمية عالية، تكون مهمتها حصر هذه الكتب والمصنفات التي دونت في الماضي والحاضر، ومن ثم التعريف بأصحابها، وتقديم ملخصات لما احتوته من عقائد وأراء، وأيضاً القيام بطباعة أصولها في مجموعة متكاملة فاخرة، وتقديمها للناس ورقياً وإلكترونياً؛ ليسهل الانتفاع بها في مشارق الأرض ومغاربها؛ وما ذلك إلا لأن السلفية تمثل اليوم الإسلام الصحيح الذي جاء به النبي الخاتم؛ ولأنها المنهج الوسطي الوحيد الذي يمكنه إسعاد البشرية على اختلاف أطرافها.

In the name of Allah

abstract of the research

Title of the research:

Attributes of Allah Ta'ala and the position of Al-sallaf from it.

Researcher Name:

Dr. Ali bin Saeed Al-Abeedi

Faculty member in department of religion and contemporary doctrines - Faculty of Shariah and Fundamentals of Religion - King Khalid University, Abha.

Components of the research:

This research is consist of introduction ,five chapters and a conclusion, as follows:

In the introduction, researcher explained the research objectives and its importance and plan.

In the first chapter , the researcher explained vocabularies of the title then he concluded a very important result, which is that Al-Sallafeah is the true religion which was chosen by Allah to mankind, it is not a phase of time but intellectual Method extended since the beginning of Islam until today and tomorrow.

In the second chapter , the researcher displayed doctrines of sects in the Attributes of the God in the three sections, showing the moderation(Wasatteah) of Al-Sallafeah in the Attributes of Allah, deciding that this Wasatteah based on evidence and proof.

In the third chapter, the researcher demonstrated the position of Al-Sallafeah of the divine attributes in four sections, talked about selected examples to highlight the rules and disciplines on which Al-Sallaf Built their believes about the Attributes, stressing that their approach is the scientific and right method which is free of confusion and disorder located at another sects ,then he advances this rules by some of Sayings of earlier and later Sallaf who have agreed to demonstrate the attributes of Allah without altering their meaning in any way .

In the fourth chapter the researcher displayed - very briefly - the efforts of Sallaf who have had a clear

imprint in the service of the Sallafi doctrine and spread it among the people, through education, authorship, or incur harm .

In the fifth chapter the researcher demonstrated how the clear and pure method of Sallafeah has had an impact on retreat the most important scholars of Al-Kallam from their doctrines, and return to Al-Sallafeah way which agree with the Qur'aan , Sunnah , nature , mind and language, by mention some of these scholars sayings.

At the conclusion ,the researcher concluded many results and recommendations, including: needing to take care of Al-Sallaf books and their works in the Belief, by form a qualified committee with scientific staff, and their task is collect these books and works that recorded in the past and present, then name the owners of these books, and provide summaries of beliefs and ideas that find in these books, also to print their assets in a complete package, then submit to the people electronically and by paper; for easy use in all over the world. All this because the Sallafeah represent today the true Islam of the Prophet, and it is the only method of Wasatteah that can give happiness to mankind.

المقدمة

حمداً لله، وصلاة وسلاماً على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

فلقد كثرت الفتن والدعاوى الباطلة للنيل من السلفية التي يمثلها كثير من المسلمين اليوم في شتى أصقاع الدنيا، والتي يمثلها كدولة كبيرة لها ثقلها ووزنها في عصرنا الحاضر المملكة العربية السعودية، فهي رمز واضح وكبير للسلفية، ويعد مذهبها الديني امتداداً للمذهب السلف المتقدم -من الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان-، وحلقة قوية من حلقاته التي لا تفصل عنه ولا تنفك، وهي تؤكد أن السلفية ليست مرحلة زمنية مضت وانتهت؛ ولكنها منهج فكري ثابت قائم على نصوص الكتاب، وصحيح السنة، وفقه السلف الصالح، المتفق مع العقل الصحيح، والفطرة السليمة، ولغة العرب الأصيلة، وستبقى قائمة إلى قيام الساعة، فأهلها الملتزمون بها هم الطائفة المتصورة التي بشرت بها النصوص.

وهي المذهب الوسطي الكفيل بإسعاد المسلمين -والبشرية- إذا ما أخذوا به وتبنوه في جميع مناحي حياتهم.

أهداف البحث: لعل أكبر أهداف البحث بيان موقف السلف في قضية من أهم قضايا التوحيد، وهي: توحيد الصفات، والتي كان الخلاف فيها أحد أسباب الافتراق في الأمة منذ زمن، ميزاً لأقوال علماء السلف فيها، وكيف أنهم بنو عقائدهم فيها على أصول ثابتة، وقواعد محكمة تورث اليقين، مع إظهار وسطيتهم في الاعتقاد بين طوائف الأمة، وإبراز جهود علمائهم في نصرة مذهب السلف، وبيان كيف أن المذهب السلفي والمواقف السلفية كان لها أثر كبير في تخلي طائفة من أساطين الكلام عن مذاهبهم الكلامية التي أورثتهم القلق والحيرة والشك، وعودتهم إلى حظيرة السلف حيث السكينة والطمأنينة واليقين.

أهمية البحث: وترجع أهمية الموضوع إلى أنه يقرر أن مذهب السلف في صفات الرب تعالى هو المذهب الصحيح القائم على الأدلة والبراهين والقواعد الثابتة المقنعة، التي تجعل المنصف المتأمل لها يدرك أنه المذهب الحق الذي يجب سلوكه والأخذ به، والعدول عن غيره إليه، وأنه المذهب الذي تنطبق عليه صفات الفرق الناجية، والطائفة المنصورة.

وقد جعلت بخني هذا في مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات. المقدمة، وفيها أهداف البحث، وأهميته، وخطته.

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات العنوان، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المراد بالصفات.

المطلب الثاني: المراد بالسلف.

المبحث الثاني: وسطية السلف بين الفرق في الصفات، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: موقف المعطلة.

المطلب الثاني: موقف المشبهة.

المطلب الثالث: موقف السلف.

المبحث الثالث: أبرز تقارير السلف وأقوالهم في الصفات، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تقريرهم أن صفات الله تعالى توقيفية.

المطلب الثاني: تقريرهم أن الرب تعالى متصف بصفات الكمال الذي لا نقص فيه منذ الأزل.

المطلب الثالث: تقريرهم إجراء نصوص الصفات على ظاهرها، مع اعتقادهم أنها معلومة المعنى بجهولة الكيف.

المطلب الرابع: تقريرهم التفريق بين إضافة الملك وإضافة الصفة.

المبحث الرابع: مظاهر اهتمام السلف في تقرير توحيد الصفات.

المبحث الخامس: تأثير الموقف السلفي على التكلمين.

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول التعريف بمصطلحات العنوان

المطلب الأول: المراد بالصفات.

الصفة لغة: النعت.

وعلى هذا المعنى تدور عبارات كثير من أهل اللغة والتفسير وغيرهم.
قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) حكاية لقول الخليل: "النعت: وصفك الشيء بما فيه من حسن"^(١).

وينحو قوله قال ابن منظور (ت ٧١١هـ): "النعت: وصفك الشيء، تنعته بما فيه وتبالغ في وصفه"^(٢).

وقال ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ): "النعت: وصف الشيء بما فيه من حسن، ولا يقال في القبيح، إلا أن يتكلف، فيقال: نعت سوء. والوصف، يقال في الحسن وفي القبيح"^(٣).
والذي خلص إليه العسكري (ت ٣٩٥هـ) في كتابه الفروق: "أن النعت هو ما يظهر من الصفات ويشتهر؛ ولهذا قالوا: هذا نعت الخليفة...؛ لأن النعت يفيد من المعاني مالا تفيد الصفة، ثم قد تتداخل الصفة والنعت فيقع كل واحد منهما موضع الآخر لتقارب معناهما، ويجوز أن يقال الصفة لغة والنعت لغة أخرى ولا فرق بينهما في المعنى"^(٤) ثم استطرده.

فتبين أن الصفة ترادف النعت، وقد جرى استعمال هذا اللفظ في كلام بعض علماء السلف، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٧هـ): "ومن أعظم الأصول معرفة الإنسان بما نعت الله تعالى به نفسه من الصفات الفعلية"^(٥).

وقال الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ): "إيماننا بما ثبت من نعوت كإيماننا بذاته المقدسة، إذ الصفات تابعة للموصوف"^(٦).

وللسلف عبارات كثيرة متناثرة تفيد أنهم يذهبون إلى الترادف بين الصفة والنعت خلافا لمن فرق بينهما، وقد جمع بعض كلامهم المتفرق علوي سقا فمعقبا عليها بقوله: "الأولى أن نقول: (صفة الله) أو (صفات الله) بدل (نعت الله) أو (نعوت الله)؛ لورود الحديث الصحيح بذلك"^(٧).

وهو كما قال، ولعله يشير إلى حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: "أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟»، فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: «أخبروه أن الله يحبها»^(٨).

الصفات الإلهية اصطلاحاً:

هي ما وصف الله تعالى به نفسه أو وصفه به رسوله - صلوات الله وسلامه عليه - نفيًا وإثباتًا، والواجب على المكلف الإيمان بما من غير تكيف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل.

وقد قرر هذا المعنى شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٧هـ) وغيره من علماء السلف، فإنه قال - رحمه الله - لما تكلم عن توحيد الصفات: "الأصل في هذا الباب: أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله، نفيًا وإثباتًا، فيثبت لله ما أثبتته لنفسه، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبتته من الصفات من غير تكيف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه، مع إثبات ما أثبتته من الصفات من غير إلحاد لا في أسمائه ولا في آياته"^(٩).

المطلب الثاني: المراد بالسلف. السلف لغة:

جمع سالف، على وزن خادم وخدم، وحارس وحرس^(١٠)، وهو من مضى^(١١)، وكل من تقدمك من آبائك وذوي قرابتك في السن أو الفضل^(١٢) يقال له: سلف. وقد أكد هذا المعنى ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) بقوله: "سلف الإنسان من تقدمه بالموت من آباءه وذوي قرابته ولهذا سُمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح"^(١٣).

السلف اصطلاحاً:

للسلف إطلاق زمني، وآخر منهجي.

فالسلف من الناحية الزمنية: هم أصحاب القرون المفضلة، من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، ممن أثبت لهم النبي صلوات الله وسلامه عليه الخيرية بقوله: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم ثم، الذين يلونهم»^(١٤).

وهو قول المحققين من أهل العلم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٧هـ) في بعض مناظراته في الصفات: "مذهب أهل الحديث وهم السلف من القرون الثلاثة ومن سلك سبلهم من الخلف: أن هذه الأحاديث تمر كما جاءت"^(١٥).

وهو قول كثير من أهل العلم^(١٦)، خلافا لمن حصرهم في الصحابة دون غيرهم^(١٧)، ولمن حصرهم في التابعين دون تابعيهم^(١٨).

والسلف من حيث المنهج والطريقة: هم الصحابة الكرام، ومن سلك طريقهم واقتدى بهم من التابعين وتابعي التابعين وحتى وقتنا الحاضر فما بعده.

وقد أجاد السفاريني (ت ١١١٨هـ) — رحمه الله — إذ قال في تعريفهم: "المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام — رضوان الله عليهم — وأعيان التابعين لهم بإحسان وأتباعهم وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة، وعرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلف عن سلف، دون من رمي ببدعة، أو شهر بلقب غير مرضي مثل الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة والخيرية والجهمية والمعتزلة والكرامية، ونحو هؤلاء"^(١٩).

ومن أشار إلى ذلك ابن بطة (ت ٣٧٨هـ) في الإبانة^(٢٠)، واللالكائي (ت ٤١٨هـ) في شرح أصول اعتقاد أهل السنة^(٢١)، والبيهقي (ت ٤٥٨هـ) في الأسماء والصفات^(٢٢) وغيرهم كثير.

نتيجة:

ومن خلال التعريفات السابقة نستنتج أن السلف يمثلون الدين الصحيح الذي ارتضاه الله تعالى للعالمين، وأما ليست مرحلة زمنية كما قد يتصور، ولكنها منهج فكري ممتد منذ صدر الإسلام وحتى اليوم والغد.

المبحث الثاني وسطية السلف بين الفرق في الصفات

ما يميز السلف في باب الاعتقاد - وغيره - التوسط والاعتدال في عقائدهم التي يدنون بها ربه تعالى، وهو توسط مبني على الدليل الصحيح، والفهم السليم لنصوص الوحي من غير تكلف، أو تحميل للنصوص ما لا تحتمل.

يقول الإمام الطحاوي (ت ٣٢١هـ) في تعريفه بالدين الصحيح ووسطيته: "ودين الله في الأرض والسماء واحد وهو دين الإسلام قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وهو بين الغلو والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل، وبين الجبر والقدر، وبين الأمن والإياس" (٢٣).

ويقول الإمام ابن القيم (ت ٧٥١هـ) رحمه الله: "لا تجد أهل الحق دائماً إلا وسطاً بين طرقي الباطل، وأهل السنة وسط في النحل كما أن المسلمين وسط في الملل" (٢٤).
وأهل السنة هم السلف وهم أهل الحق في باب الصفات وغيره، فهم لما أنبتوا للرب تعالى الصفات توسطوا في إثباتها بين أهل التعطيل وأهل التشبيه الذين فارقوهم في هذا الباب.

المطلب الأول: موقف المعطلة من الصفات.

أهل التعطيل، بالغوا في التزیه حتى نفوا الصفات أو بعضها، وهم ثلاث طوائف كلامية:

الأولى: نفاة الأسماء والصفات.

ويمثل هؤلاء الجهمية، أصحاب الجهم بن صفوان الذي ضحى به سالم بن أحوز بمرو (٢٥).

الثانية: نفاة الصفات دون الأسماء.

ويمثل هؤلاء المعتزلة، أصحاب وأصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري؛ لأجل الخلاف في مرتكب الكبيرة.

وقد ذكر الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) معتقدهم هذا بقوله: "الذي يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد: القول بأن الله تعالى قديم والقدم أحص وصف ذاته، ونفوا الصفات القديمة أصلاً، فقالوا: هو عالم بذاته، قادر بذاته، حي بذاته لا يعلم وقدرة وحياة، هي صفات قديمة ومعان قائمة به لأنه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أحص الوصف لشاركته في الإلهية..." (٢٦).

الثالثة: نفاة بعض الصفات.

وعلى رأس هؤلاء الأشاعرة الذين ينتسبون إلى أبي الحسن الأشعري. وقد أثبتوا الأسماء وسبع صفات يسمونها صفات المعاني وأولوا الباقي، وهي: الحياة، العلم، القدرة، الإرادة، الكلام، السمع، البصر (٢٧).

وشبهة الجميع فيما نفوه من الصفات أن إثباتها يقتضي التشبيه والتجسيم؛ لأنه لا يشاهد موصوف بها إلا هذه الأجسام، والله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]؛ فتعين نفي الصفات وتعطيلها تزيتها لله عن التشبيه بزعمهم، ولهذا يسمون من أثبتها مشبهة (٢٨).

المطلب الثاني: موقف المشبهة من الصفات.

وأما أهل التشبيه فاثبتوا لله تعالى صفات تشابه صفات المخلوقين، فقالوا: له علم كعلمنا، وقوة كقوتنا، ويد كيدنا تعالى الله عن ذلك.

ويمثل هذا الاتجاه قدماء الرافضة (٢٩)، الذين من أبرز أئمتهم هشام بن الحكم وهشام بن سالم الجواليقي وداود الجواربي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٧هـ): "فهذه المقالات التي نقلت في التشبيه والتجسيم لم نر الناس نقلوها عن طائفة من المسلمين أعظم مما نقلوها عن قدماء الرافضة، ثم الرافضة حرموا الصواب في هذا الباب كما حرموه في غيره، فقدماءهم يقولون بالتجسيم الذي هو قول غلاة المجسمة، ومتأخروهم يقولون بتعطيل الصفات موافقة لغلاة المعتزلة ونحوهم، فأقوال أئمتهم دائرة بين التعطيل والتمثيل لم تعرف لهم مقالة متوسطة بين هذا وهذا" (٣٠).

وقد نقض علماء السلف في القديم والحديث تلكم المذاهب - سيأتي بيان جهودهم في مبحث مستقل - ، وبينوا فسادها بما لا يمكن الاستطراد بذكره الآن؛ لأنه غير مقصود في هذا البحث، وعلى سبيل الإيجاز والإجمال يمكن الرد على الفريقين بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فصدر الآية رد على المشبهة، وعجزها رد على المعطلة.

المطلب الثالث: موقف السلف من الصفات.

وأما السلف فتوسطوا بين فريقَي التشبيه والتعطيل، فأثبتوا لله تعالى ما يليق به من الصفات التي جاء بها الوحي مع نفي مماثلته للمخلوقات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٧هـ) مبينا لهذه الوسطية: "وأهل السنة والجماعة في الإسلام كأهل الإسلام في أهل الملل، فهم وسط في باب صفات الله عز وجل بين أهل الجحد والتعطيل وبين أهل التشبيه والتمثيل، يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تعطيل ولا تمثيل، إثباتاً لصفات الكمال وتزجيهاً له عن أن يكون له فيها انداد وأمثال؛ إثبات بلا تحيل وتزويه بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] رد على الممثلة ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] رد على المعطلة" (٣١).

وقال أيضاً: "ومذهب السلف بين مذهبين، وهدي بين ضلالتين: إثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوقات، فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] رد على أهل التشبيه والتمثيل، وقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] رد على أهل النفي والتعطيل، فالممثل أعشى، والمعطل أعمى، الممثل يعبد صنما، والمعطل يعبد عدماً" (٣٢).

فهذه قاعدتهم وهذا دينهم وهذا مذهبهم في صفات الله تعالى توسط واعتدال.

وقال السفاريني (ت ١١١٨هـ): "سلف الأمة وأجلأ الأئمة ، يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به نبيه ﷺ من غير تحريف ولا تشبيه، تعالى الله عن ذلك، فإنه تعالى قال في محكم كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]".

[١١]، فرد على المشبهة بنفي المثلية، ورد على المعطلة بقوله: ﴿وَهُوَ أَلْسَمُ الْأَبْصَرُ﴾^(٣٣).

وأختم بكلام جامع نفيس لشيخ الإسلام الإمام شمس الدين ابن القيم (ت ٧٥١هـ) يلخص فيه المسألة ويبين طريقة السلف ومذهبهم في الصفات، إذ يقول في معرض كلامه عن أنواع الإلحاد في أسماء الله تعالى: "...وخامسها: تشبيه صفاته بصفات خلقه تعالى الله عما يقول المشبهون علوا كبيرا، فهذا الإلحاد في مقابلة إلحاد المعطلة، فإن أولئك نفوا صفة كماله وجحدوها وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه، فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقه، وبرأ الله أتباع رسوله وورثته القائمين بسنته عن ذلك كله، فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه، ولم يحلدوا صفاته ولم يشبهوها بصفات خلقه ولم يعدلوا بها عما أنزلت عليه لفظا ولا معنى؛ بل أثبتوا له الأسماء والصفات ونفوا عنه مشابهة المخلوقات، فكان إثباتهم بريئا من التشبيه، وتزيههم خليا من التعطيل، لا كمن شبه حتى كأنه يعبد صنما، أو عطل حتى كأنه لا يعبد إلا عدما.

وأهل السنة وسط في النحل كما أن أهل الإسلام وسط في الملل، توقد مصابيح معارفهم من: قَالَ تَعَالَى: ااعُوذْ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ ﴿شَجَرَةٌ مِّنْ رَّكْوَىٰ ذِي نُّونٍ لَا تَمْرُوقٌ وَلَا غَرْبَقُوتٌ كَادُ زَيْتَانٍ يَصْنَعُ لَكُمْ تَمْسَسَةً نَّارًا تُوْرُّ عَلَىٰ قَوْمٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [النور: ٣٥] فنسأل الله تعالى أن يهدينا لنوره ويسهل لنا السبيل إلى الوصول إلى مرضاته ومتابعة رسوله إنه قريب مجيب^(٣٤).

فتبين لنا أن مذهب السلف في الصفات هو المذهب الوسطي الذي يتفق مع ظواهر النصوص، ويؤيده العقل السليم، وينسجم مع الفطرة المستقيمة.

المبحث الثالث

أبرز تقارير السلف وأقوالهم في الصفات

نتعرف في هذا المبحث على أبرز القواعد والضوابط التي قام عليها مذهب السلف في الصفات، وهي قواعد وضوابط تتفق مع مدلولات نصوص الوحي، ويؤيدها العقل

الصحيح والقطرة السليمة، وهي في النهاية تبين موقفهم من الصفات، وتشهد بصحة طريقتهم وسلامة منهجهم فيها، وأن مذهبهم في الصفات هو المذهب الحق الذي لا ريب فيه.

وقد ألف العلماء في ذلك مؤلفات - كما سيأتي - عامة وخاصة، والآن إلى نماذج من هذه القواعد والضوابط والتقريرات التي أثبت بها السلف الصفات للرب تعالى مع مراعاتهم البعد عن وثني التشبيه والتعطيل، وقد جعلتها في عدة مطالب.

المطلب الأول: تقريرهم أن صفات الله تعالى توقيفية.

ومعنى ذلك أنه يتوقف في إثباتها على نصوص الوحي من قرآن كريم وسنة مطهرة صحيحة؛ لقصور العقل عن إدراك ما يليق بالرب تعالى، وقد فهمنا أن نتكلم بلا علم كما قال الحق تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقد تضافرت أقوال علماء السلف في القدم والحديث على تقرير هذه القاعدة، فكتبوها في مصنفاتهم، ودرّسوها طلابهم، وتناقلوها فيما بينهم، وإليك طائفة من أقوالهم:

قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) "...وصفاته غير محدودة ولا معلومة إلا بما وصف به نفسه، قال: فهو سميع بصير بلا حد ولا تقدير ولا يبلغ الواصفون صفته، ولا تتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال، ونصفه بما وصف به نفسه ولا نتعدى ذلك، ولا يبلغ صفته الواصفون" (٣٥).

وقال أيضا فيما نقله عنه الخلال (ت ٣١١هـ): "ونعلم أن ما جاء به رسول الله ﷺ حق إذا كانت أسانيد صحاح، ولا نرد على الله قوله ولا يوصف بأكثر مما وصف به نفسه" (٣٦)، وقد ذكر هذا النص غير واحد من العلماء.

وقال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي (ت ٢٨٠هـ) في رده على بشر المريسي: "ونصفه بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله" (٣٧).

وقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٣١١هـ): "لست أحتج في شيء من صفات خالقي عز وجل إلا بما هو مسطور في الكتاب، أو منقول عن النبي ﷺ بالأسانيد الصحيحة الثابتة" (٣٨).

وقال الإمام الحافظ محمد بن إسحاق بن مندة (ت ٣٩٥هـ): "أسماء الله وصفاته توقيفية، وأهل السنة والجماعة لا يثبتون لله إلا ما أثبت له نفسه في كتابه أو صح عن رسول الله" (٣٩).

وقال أبو الحسن القاسبي (ت ٤٠٣هـ) كما في الفتح: "أسماء الله وصفاته لا تعلم إلا بالتوقيف من الكتاب والسنة أو الإجماع، ولا يدخل فيها بالقياس" (٤٠).

وقال أبو نصر السجزي (ت ٤٤٤هـ): "اتفقت الأئمة على أن الصفات لا تؤخذ إلا توقيفية، ولا يجوز أن يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله" (٤١).

وقال الإمام أبو القاسم الأصبهاني (ت ٥٣٥هـ): "لا يوصف إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله أو أجمع عليه المسلمون، فمن وصفه بغير ذلك فهو ضال" (٤٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني (ت ٧٢٧هـ) في الحموية لما تكلم عن الصفات مقررًا ومبينًا لطريقة السلف ما نصه: "القول الشامل في جميع هذا الباب: أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله وبما وصفه به السابقون الأولون، لا يتجاوز القرآن والحديث" (٤٣).

ثم ساق كلام أحمد المتقدم وهو عمدة في الباب.

وقال أيضا: "وجماع القول في إثبات الصفات هو القول بما كان عليه سلف الأمة وأئمتها، وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، ويصان ذلك عن التحريف والتمثيل والتكيف والتعطيل" (٤٤).

وقال العلامة ابن القيم (ت ٧٥١هـ) فيما ينبغي العلم به في باب الصفات: "السابع: أن ما يطلق عليه من باب الأسماء والصفات توقيفي، وما يطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون توقيفا" (٤٥).

وقال الشيخ الإمام حمد بن ناصر آل معمر (ت ١٢٢٥هـ) في حكاية لمذهب إمام الدعوة السلفية المعاصرة في الصفات: "ومذهب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦هـ) رحمه الله تعالى: هو ما ذهب إليه هؤلاء الأئمة المذكورون، فإنه يصف

الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله، لا يتجاوز القرآن والحديث، ويتبع في ذلك سبيل السلف الماضين الذين هم أعلم هذه الأمة بهذا الشأن نفياً وإثباتاً، وهم أشد تعظيماً لله وتزجيها له عما لا يليق بجلاله" (٤٦).

ومن العلماء المعاصرين الإمام العلامة ابن باز (ت ١٤٢٠هـ) فإنه قال: "أهل السنة لا ينفون عن الله إلا ما نفاه عن نفسه أو نفاه رسوله ﷺ، ولا يثبتون له إلا ما أثبتته لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ" (٤٧).

وقال العلامة محمد بن صالح العثيمين (ت ١٤٢١هـ) في القواعد المثلى: " القاعدة السابعة: صفات الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها فلا ثبت لله تعالى من الصفات إلا ما دل الكتاب والسنة على ثبوته" (٤٨).

وقال الشيخ العلامة عبد الرحمن البراك في تعليقاته على فتح الباري: "الصواب أن أسماء الله عز وجل وصفاته توقيفية، ومعنى ذلك أنها مبنية على توقيف من الله تعالى أو رسوله ﷺ؛ فلا يثبت له من الأسماء والصفات إلا ما جاء في الكتاب والسنة، فلا يسمى إلا بما سمي به نفسه أو سماه به رسوله ﷺ، ولا يوصف إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسول الله ﷺ" (٤٩).

هذه بعض نقولات نجوم الأعلام من أئمتنا مصاييح الدجى، ومشاعل الهداية، رحم الله أمواتهم وبارك في أحيائهم، وما تركت من كلام السلف المتقدمين والمتأخرين كثير كثير.

ولدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاثة أوجه، وقد لخصها ابن العثيمين (٥٠):

الأول: التصريح بالصفة.

كالعزة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْبِرَّ لَوَجْدَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَاسِهِمْ هَاهُنَا ذُو الْأَلْوَانِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، والرحمة في قوله سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام: ١٢٣]، والوجه في قوله جل وعلا: ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢] ونحوها.

الثاني: تضمن الاسم للصفة.

مثل: الغفور متضمن للمغفرة، والسميع متضمن للسمع، ونحو ذلك.

الثالث: التصريح بفعل أو وصف دال عليها.

كالاستواء على العرش في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، والحيء في قوله سبحانه: ﴿وَجَاءَ رَيْكَ وَالْمَلَكُ صَفًّصَفًّ﴾ [الفجر: ٢٢] ونحوها.

فتبين أن السلف من السابقين واللاحقين على طريقة واحدة لا يتجاوزون القرآن والسنة في إثبات صفات الرب تعالى، وأنهم يقفون حيث وقف النص تعظيماً لله تعالى ووقوفاً عند حدود الغيب التي يحرم الخوض فيه بغير برهان من الوحي، ومن سلك طريقهم فقد سلك طريق الهدى المستقيم.

وهذا يتبين أيضاً خطأ من يصفون الله تعالى بما لم يصف به نفسه؛ لأنه قول على الله بغير علم، وهو أمر محرم بنص التزيل كما قال الحق تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُزَلِّ بِهِ. سُلْطَنًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، وكما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

المطلب الثاني: تقريرهم أن الرب تعالى متصف بصفات الكمال التي لا نقص فيها منذ الأزل.

وهذا من الأمور البديهية التي تشهد بها العقول الصحيحة والفطر السليمة، إذ لا يتصور الرب المعبود الحق إلا متصفا بصفات الكمال مزمها عن صفات النقص.

كما قال الحق تعالى: قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ١٢٧].

أي: "الوصف الأكمل، الذي هو أعظم الأوصاف، وأكملها وأجلها في السماوات والأرض" (٥١).

وقال الإمام ابن القيم (ت ٧٥١هـ): "جعل مثل السوء المتضمن للعيوب والنقائص وسلب الكمال للمشركين وأربابهم، وأخير أن المثل الأعلى المتضمن لإثبات الكمالات كلها له وحده" (٥٢).

والآن إلى جملة من كلام السلف في تقرير كمال الصفات الإلهية:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٧هـ) رحمه الله لما تكلم عن ثبوت الكلام الإلهي: "الثابت له هو أقصى ما يمكن من الأكملية، بحيث لا يكون وجود كمال لا نقص فيه إلا وهو ثابت للرب تعالى، يستحقه بنفسه المقدسة، وثبوت ذلك مستلزم نفي نقيضه، فثبوت الحياة يستلزم نفي الموت، وثبوت العلم يستلزم نفي الجهل، وثبوت القدرة يستلزم نفي العجز، وإن هذا الكمال ثابت له بمقتضى الأدلة العقلية والبراهين يقينية، مع دلالة السمع على ذلك" (٥٣).

وقال الإمام ابن القيم (ت ٧٥١هـ): "أسمأؤه كلها مدح وثناء وتمجيد، ولذلك كانت حسنى، وصفاته كلها صفات كمال ونعوتها نعوت جلال" (٥٤).

وقال الإمام ابن أبي العز (ت ٧٩٢هـ) مقررا ثبوت صفات الكمال لله تعالى منذ الأزل كما هو قول سائر السلف: "لم يزل - الله - متصفا بصفات الكمال: صفات الذات وصفات الفعل، ولا يجوز أن يعتقد أن الله وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفا بها؛ لأن صفاته سبحانه صفات كمال وفقدها صفة نقص، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفا بضده، ولا يرد على هذه صفات الفعل والصفات الاختيارية ونحوها كالخلق والتصوير والإماتة والإحياء والقبض والبسط والطي والاستواء والإتيان والمحيي والتزول والغضب والرضى ونحو ذلك مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله وإن كنا لا ندرك كنهه وحقيقته التي هي تأويله، ولا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا ولكن أصل معناه معلوم لنا" (٥٥).

ومن علماء السلف المعاصرين الإمام العلامة محمد بن صالح العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، قال: "صفات الله تعالى كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه كالحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والرحمة، والعزة، والحكمة، والعلو، والعظمة، وغير ذلك، وقد دل على هذا: السمع والعقل والفطرة" (٥٦). ثم ساق الأدلة.

والعلامة ابن جرير (ت ٤٣٠ هـ)، قال: "صفات الله تعالى كلها صفات كمال، إذا أثبتناها فإننا نعتقد أنها صفات كمال" (٥٧).

والشيخ الدكتور عبد العزيز الراجحي: "صفات الله كلها عليا، صفات كمال ومدح ليس فيها نقص بوجه من الوجوه كالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والحكمة والرحمة والعلو وغير ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَلْمَلْنَا الْأَعْيُنَ﴾ [النحل: ٦٠]؛ ولأن الرب كامل فوجب كمال صفاته.

هذه قاعدة معلومة صفات الله كلها عليا وكلها كمال كما في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَلْمَلْنَا الْأَعْيُنَ﴾ [النحل: ٦٠] أي: الوصف الكامل" (٥٨).

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، وهي واجهة سلفية تمثل منهج العلماء والدولة: "صفات الله سبحانه كثيرة لا يعلمها إلا هو، وكلها صفات كمال، وكل ما وصف الله به نفسه في كتابه أو وصفه به رسوله في سنته - وجب إثباته واعتقاده" (٥٩).

والكلام في الباب كثير والقصد الإشارة التي يتحقق بها الغرض وقد تم بحمد الله.

والسلف عندما يشتون الصفات للرب تعالى فهم يشتونها مع اعتقاد إنها صفات كمال كما مر، سواء كانت الصفة مطلقة وهي التي تكون كمالاتاً محضاً، أو مقيدة وهي التي تكون كمالاتاً في حال دون حال.

ومثال الأولى: "الخلق والرزق والكلام وما أشبه ذلك"، هذا كمال مطلق، فيوصف الله به على الإطلاق، فيقال: إن الله متكلم رازق خالق وما أشبه ذلك" (٦٠).

ومثال الثانية: "المكر والخديعة والاستهزاء والكيد، هذا يكون كمالاتاً في حال ونقصاً في حال، فلا يوصف الله به إلا على وجه الكمال، فالمكر مثلاً: لا يجوز أن تصف الله بالمكر على سبيل الإطلاق، وتقول: إن الله ماهر، هذا حرام، لأنه يفهم من ذلك النقص والعيب، فإن المكر عند الإطلاق صفة قدح وذم، لكنه عند المقابلة يكون صفة مدح، فتقول: إن الله يمكر بمن يمكر به وبرسوله، وهنا صار المكر صفة كمال ومدح يعني أنه أعلى من مكر أعدائه، كذلك إذا وصفت المكر بما يدل على الكمال فلا بأس،

مثل أن تقول: الله خير الماكرين، كما قال تعالى: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤] (٦١).

وكذا القول في الخديعة والاستهزاء والكيد، لا يقال: الله يخادع ويستهزئ ويكيد؛ لأن هذه الصفات لم تأت إلا على سبيل الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق، فلا يصح أن يوصف الله بها وصفاً مطلقاً.

ومن صفات الكمال التي يشتهها السلف على ما يليق بجلال الله تعالى:

صفة الحياة كما قال تعالى: ﴿وَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].
ووجه الكمال فيها: أنها "حياة كاملة مستلزمة لكل صفات الكمال، لم يسبقها عدم، ولا يلحقها فناء" (٦٢).

ومن صفات الكمال العلم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٥].
ووجه الكمال فيه: أنه علم "كامل شامل لكل: صغير وكبير، وقريب وبعيد، لم يسبقه جهل، ولا يلحقه نسيان" (٦٣).

ومن صفات الكمال القدرة، كما قال تعالى: ﴿لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الطلاق: ١٢].

ووجه الكمال فيها: أن له قدرة "كاملة، لم تسبق بعجز ولا يلحقها تعب" (٦٤).
ومن صفات الكمال الحكمة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا

لَتَمِيزَ﴾ [الدخان: ٣٨-٣٩].
ووجه الكمال فيها: أنها "حكمة بالغة، منزهة عن العبث، شاملة لخلقها وشرعها" (٦٥).
وهكذا القول في سائر الصفات الكمالية.

وكان السلف يراعون الإتيان المفصل والنفي المجمل كما هي طريقة القرآن؛ لأن الكمال فيها.

وفي هذا المعنى يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٧هـ): "ومن أبلغ العلوم الضرورية: أن الطريقة التي بعث الله بها أنبياءه ورسله، وأنزل بها كتبه، مشتملة على

الإثبات المفصل والنفي المجمل، كما يقرر في كتابه، وعلمه، وقدرته، وسمعه، وبصره، ومشيتته، ورحمته، وغير ذلك.

ويقول في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [إبراهيم: ٦٥]، ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤]، وعلى أهل العلم والإيمان اتباع المرسلين من الأولين والآخرين^(٦٦).

وعندما ينفي السلف صفات النقص فإنهم يفهمون مع اعتقاد ثبوت كمال ضدها؛ لأن النفي المحض ليس بمدح، قال شيخ الإسلام (ت ٧٢٧هـ): "وثبوت ذلك مستلزم نفي نقيضه، فثبوت الحياة مستلزم نفي الموت، وثبوت العلم يستلزم نفي الجهل، وثبوت القدرة يستلزم نفي العجز، وإن هذا الكمال ثابت له بمقتضى الأدلة العقلية والبراهين اليقينية، مع دلالة السمع على ذلك"^(٦٧).

وقال ابن أبي العز (ت ٧٩٢هـ): "كل نفي يأتي في صفات الله تعالى في الكتاب والسنة إنما هو لثبوت كمال ضده كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَظِلُّرُبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، لكمال عدله، وقوله: ﴿لَا يَغْرِبُ عَنْهُ شَيْءٌ ذَرَّةً فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبا: ٣]، لكمال علمه، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨] لكمال قدرته، وقوله: ﴿لَا تَأْخُذُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] لكمال حياته وقيوميته، وقوله: ﴿لَا تَذَرُكَ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] لكمال جلاله وعظمته وكبريائه.

وإلا فالنفي الصرف لا مدح فيه... ولهذا يأتي الإثبات للصفات في كتاب الله مفصلاً والنفي مجملاً عكس طريقة أهل الكلام المذموم^(٦٨)، ثم استطرد في الشرح. وقال العثيمين (ت ١٤٢١هـ): "فصفات الله تعالى كلها صفات كمال، سواء كانت صفات ثبوت، أم صفات نفي، وقد سبق أن النفي المحض لا يوجد في صفات الله تعالى، وأن المقصود بصفات النفي نفي تلك الصفة لا تصافه بكمال ضدها"^(٦٩).

ويعتقد السلف تزيه الرب تعالى عن صفات النقص، مثل السنة والنوم، والموت، والجهل، والنسيان، والعجز، والعمى، والصمم، ونحوها، مستلذين لذلك بنصوص

الوحي التي تتفق مع العقل الصحيح وتنسجم مع الفطرة السليمة، وشواهد ذلك كثيرة.

ففي نفي السنة والنوم قال سبحانه: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وفي نفي الموت قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْوَحْيِ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وفي نفي النسيان قال تعالى حكاية لقول موسى عليه السلام: ﴿قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي

كِتَابٍ لَا يَغِيظُ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: ٥٢].

وفي نفي العجز قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلْفٌ لِّعِجْرٍ مِّنْهُمْ فِي السَّمَاءِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ

عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

وفي نفي العمى قال النبي ﷺ في الدجال: «إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور»^(٧٠).

وفي نفي الصمم قال ﷺ: «أبها الناس، أربعوا على أنفسهم، فإنكم لا تدعون أصما

ولا غائبا»^{(٧١) (٧٢)}.

ويدخل في هذا الباب اعتقاد السلف أن صفات الرب تعالى لا تشبه صفات

المخلوقين؛ لأن الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، لا في ذاته ولا في

صفاته، وما يكون من اشتراك في الصفات بين الخالق والمخلوق فهو من باب الاشتراك

اللفظي فحسب، ولا يستلزم التمثيل والتشبيه؛ لأن لكل ما يليق به.

المطلب الثالث: تقريرهم إجراء نصوص الصفات على ظاهرها، مع اعتقادهم أنها

معلومة المعنى مجهولة الكيف.

فإن الله تعالى خاطبنا بلسان عربي مبين لنعقل عنه ونفهم مراده، كما قال سبحانه: ﴿

نَزَّلَ بِالرُّوحِ الْأَمِينِ ﴿٣٦﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٣٧﴾ بِلسان عربي مبين ﴿٣٨﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣ -

١٩٥]، وقال عز من قائل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، وقال

سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧] إلى غير

ذلك من الآيات.

وكان نزول القرآن الكريم بلغة العرب؛ لأنها: "أفصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس" (٧٣).

هذا نص ما قاله الإمام ابن كثير (ت ٧٤٩هـ)، ووافقه عليه كثير من المفسرين وغيرهم في القدم والحديث.

ونستفيد من ذلك أنه يجب فهم النصوص على مقتضى اللسان العربي، لا أن تأول وتصرف عن ظاهرها كما هو حال أهل البدع بغير برهان ولا دليل.

وقد تعامل السلف مع نصوص الصفات من هذا المنطلق، ففهموها وفق اللسان العربي المبين كما خاطبهم به ربهم تعالى، وأجروها على ظاهرها اللائق بها، مع بعدهم عن التأويل والتعطيل والتشبيه.

وللسلف في تقرير هذه القاعدة أقوال امتلأت بها كتبهم ومصنفاتهم، وسارت بها ركبان العلماء وطلابهم في مشارق الأرض ومغاربها، وأسوق إليك طائفة من تلكم الأقوال المباركة التي تتفق في المعنى وتنوع في العبارة أحيانا كثيرة؛ لتؤكد ما عنونت به المطلب:

وأبدأ بما قرره الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) مقدما كلامه على كثير ممن سبقه؛ لجمعه لمعان كثيرة مما نحن بصدد، إذ قال رحمه الله: "أما الكلام في الصفات فإن ما روي منها في السنن الصحاح مذهب السلف - رضي الله عنهم - إثباتها وإجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها، والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، ويحتذي في ذلك حذوه ومثاله، فإذا كان معلوما أن إثبات رب العالمين - عز وجل - إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فإذا قلنا: لله يد، وسمع، وبصر، إنما هو إثبات صفات أثبتها الله تعالى لنفسه، ولا نقول إن معنى اليد القدرة، ولا أن معنى السمع والبصر العلم، ولا نقول: إنما جوارح ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات الفعل، ونقول: إنما وجب إثباتها؛ لأن التوقيف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنها لقوله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ

السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ [الشورى: ١١]، وقوله عز وجل: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤] ^(٧٤).

وقال الوليد بن مسلم (ت ١٩٥هـ): "سئل الأوزاعي، ومالك، وسفيان الثوري، والليث بن سعد، عن هذه الأحاديث التي جاءت في التشبيه، فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيفية" ^(٧٥).

وقال الإمام محمد بن حزيمة (ت ٣١١هـ) مبينا لمذهب علماء السلف على اختلاف بلدانهم وتباعد أقطارهم وأنهم يشتون ولا يشبهون: "فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز، واليمن، والعراق، والشام، ومصر، مذهبنا: أنا نثبت لله ما أثبتته لنفسه، نقر بذلك بألستنا، ونقر بذلك بقلوبنا من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، وعز ربنا أن نشبهه بالمخلوقين، وجل ربنا عن مقالة العاطلين، وعز أن يكون كما قاله المبطلون" ^(٧٦).

وحكى أبو الحسن الأشعري (ت ٣٣٠هـ) إجماع السلف على إثبات الصفات مع التزويه، فقال: "وأجمعوا على وصف الله تعالى بجميع ما وصف به نفسه ووصفه به نبيه من غير اعتراض فيه، ولا تكيف له، وأن الإيمان به واجب، وترك التكيف له لازم" ^(٧٧).

وتلاه الحافظ ابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، إذ قال: "أهل السنة مجمعون على الإقرار بهذه الصفات الواردة في الكتاب والسنة، ولم يكفوا سيئا منها" ^(٧٨).

وقرر الإمام الأصبهاني (ت ٥٣٥هـ) بدعية أهل التأويل، إذ قال: "قال أهل السنة: الإيمان بقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] واجب، والخوض فيه بالتأويل بدعة" ^(٧٩).

وقد ذكر الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) طائفة من علماء السلف البارزين ممن قرروا المذهب، بعد ذكره طائفة ممن ضل في الصفات، فقال: "وأما السلف الذين لم يتعرضوا للتأويل ولا تهدفوا للتشبيه فمنهم: مالك بن أنس رضي الله عنهما، إذ قال: الاستواء معلوم والكيفية مجهولة، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. ومثل: أحمد بن حنبل رحمه الله، وسفيان الثوري، وداود بن علي الأصفهاني، ومن تابعهم" ^(٨٠).

وقرر ابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ) أن منهج السلف والخلف واحد في الصفات، فقال: "وعلى هذا درج السلف والخلف رضي الله عنهم، فهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله، وقد أمرنا بالاعتفاء لآثارهم والاهتداء بمناهم، وحذرنا المحدثات، وأخيرنا أمنا ضلالات" (٨١).

وأما شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٧هـ) فكلامه في المسألة كثير جدا، وقد قررها في غير ما كتاب من كتبه التي لازال عطاؤها ثر وبركتها متنامية حتى يومنا هذا، وإليك بعضا من نفائس أقواله، قال رحمه الله: "والآيات التي ذكر الله فيها أمنا متشابهات لا يعلم تأويلها إلا الله إنما نفى عن غيره علم تأويلها لا علم تفسيرها ومعناها — ثم ذكر قول مالك وشيخه ربيعة المشهور في الاستواء، وقال: — فبين مالك أن معنى الاستواء معلوم، وأن كيفيته مجهولة، فالكيف المجهول هو من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله، وأما ما يعلم من الاستواء وغيره فهو من التفسير الذي بينه الله ورسوله، والله تعالى قد أمرنا أن نتدبر القرآن، وأخير أنه أنزله لنعقله، ولا يكون التدبر والعقل إلا للكلام بين المتكلم مراده به، فأما من تكلم بلفظ يحتمل معاني كثيرة ولم يبين مراده منها فهذا لا يمكن أن يتدبر كلامه ولا يعقل" (٨٢).

وقال أيضاً بعد ذكره كلام مالك وشيخه ربيعة في الاستواء ما نصه: "ومثل هذا يوجد كثيرا في كلام السلف، والأئمة ينفون علم العباد بكيفية صفات الله، وأنه لا يعلم كيف الله إلا الله، فلا يعلم ما هو إلا هو" (٨٣) مما يعني اتفاقهم على نفى علم الكيف لا علم المعاني.

وقال مبينا مذهب السلف: "سلف الأمة وأئمتها كانوا على الإيمان الذي بعث الله به نبيه ﷺ، يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل. ويقولون: إن القرآن كلام الله تعالى، ويصفون الله بما وصف به نفسه من التكليم والمناجاة والمناداة، وما جاءت به السنن والآثار موافقة لكتاب الله تعالى" (٨٤).

ومن نفيس قوله في كتابه بيان تليس الجهمية: "المشهور بين أهل السنة والجماعة: أنه لا يقال في صفات الله عز وجل: كيف، ولا في أفعاله: لم، وقد ذكرنا في غير هذا

الموضع أن السلف والأئمة نفوا علمنا الآن بكيفيته، كقول مالك رحمه الله: الاستواء معلوم والكيف مجهول^(٨٥).

وقال في موضع آخر من نفس الكتاب: "وأكثر أهل الحديث والسنة من أصحاب الإمام أحمد رحمه الله وغيرهم لا ينفون ثبوت الكيفية في نفس الأمر؛ بل يقولون: لا نعلم الكيفية. ويقولون: لا تجري ماهيته في مقال ولا تخطر كيفيته ببال؛ بل كما قال الشريف أبو علي ابن أبي موسى وأبو الفرج المقدسي وغيرهما، وهو موافق لقول السلف رضي الله عنهم والأئمة، كما قالوا: لا يعلم كيف هو إلا هو. كما قال مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول. وأمثال هذا كثير في كلامهم^(٨٦).

وقال الإمام الذهبي (ت ٧٤٨هـ) بعد ذكره قول مالك وإشارته إلى مذهب شيخه ربيعة: "هذا ثابت عن مالك، وتقدم نحوه عن ربيعة شيخ مالك، وهو قول أهل السنة قاطبة أن كيفية الاستواء لا نعقلها؛ بل نجعلها، وأن الاستواء معلوم كما أخبر تعالى في كتابه، وأنه كما يليق به، لا نتعمق، ولا نتخلق، ولا نخوض في لوازم ذلك نفياً ولا إثباتاً؛ بل نسكت ونقف كما وقف السلف، ونعلم أنه لو كان له تأويل لبادر إلى بيانه الصحابة والتابعون، ولما وسعهم إقراره وإمراره والسكوت عنه، ونعلم يقيناً مع ذلك أن الله جل جلاله لا مثل له في صفاته، ولا في استوائه، ولا في نزوله، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً^(٨٧).

وقال الإمام ابن كثير (ت ٧٤٩هـ) - لما تكلم عن الاستواء مجملًا الكلام عن المخالفين فيه - مبيناً أن مسلكه في تقرير الصفات هو مسلك السلف الصالح تماماً: "نسلك في هذا المقام مسلك السلف الصالح: مالك، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً، وهو إمرارها كما جاءت، من غير تكيف ولا تشبيه ولا تعطيل، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله؛ فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]؛ بل الأمر كما قال الأئمة، منهم: نعيم بن حماد الخزازي شيخ البخاري، قال: من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه.

فمن أثبت لله ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله، ونفى عن الله تعالى النقائص؛ فقد سلك سبيل الهدى^(٨٨).

وقد شخص الإمام مرعي المقدسي (ت ١٠٣٣هـ) واقع الناس الذين كانوا يغشون مجلس النبي ﷺ وأهم طبقات متبينة الأفهام والمدارك، ولم يكن عندهم إشكال في فهم معاني كلام الله تعالى بصفة عامة ونصوص الصفات بصفة خاصة، فقال رحمه الله: "ومن المعلوم أنه عليه السلام كان يحضر في مجلسه الشريف والعالم والجاهل والذكي والبليد والأعرابي الجاني، ثم لا يجد شيئاً يعقب تلك النصوص مما يصرفها عن حقائقها، لا نصاً وظاهراً كما تأولها بعض هؤلاء المتكلمين.

ولم ينقل عنه عليه السلام أنه كان يحذر الناس من الإيمان بما يظهر من كلامه في صفته لربه من الفوقية واليدين ونحو ذلك، ولا نقل عنه أن لهذه الصفات معاني أحر باطنة غير ما يظهر من مدلولها، ولما قال للحجارية: أين الله؟ فقالت: في السماء. لم ينكر عليها بحضرة أصحابه كي لا يتوهوا أن الأمر على خلاف ما هو عليه؛ بل أقرها، وقال: أعتقها فإنما مؤمنة. إلى غير ذلك من الدلائل التي يطول ذكرها.

ولم يقل الرسول ولا أحد من سلف الأمة يوماً من الدهر: هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه، وكيف يجوز على الله ورسوله والسلف أنهم يتكلمون دائماً بما هو نص أو ظاهر في خلاف الحق؟، ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يتكلمون به ولا يدلون عليه؟^(٨٩).

وقال السفاريني (ت ١١١٨هـ) بعد أن ذكر جملة من أقوال السلف في المسألة، وبعد ذكره قول الإمام مالك المشهور في الاستواء، ومن قبله شيخه ربيه، ومن قبلهما أم سلمة رضي الله عنها، قال: "وقولهم: والسؤال عنه بدعة. ؛ لأن الصحابة - رضي الله عنهم - لم يسألوا عنه رسول الله ﷺ، والتابعين لم يسألوا الصحابة؛ ولأن جوابه يتضمن الكيفية .

ولهذا قيل في الجواب لمن دخلت عليهم الشبهة طالين بسؤالهم التكييف: والكيف مجهول، فالذي ثبت نفيه بالشرع والعقل واتباع السلف: إنما هو علم العباد بالكيفية، فعندها تنقطع الأطماع، وعن دركها تقصر العقول... ولسنا في اتباع المأثور مع

التسليم للمولى الحكيم على وجل، فإننا نقتفي أثر المأثور، ونشهر سيف السنة لأعتاق أهل البدع والنفي باتباع المشهور، ونرد على كل من ألد "٩٠".

وقال الشيخ سليمان بن سحمان (ت ١٣٤٩هـ) وهو من السلف المتأخرين: "وأما تأويل ما أخرج الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر فهو نفس الحقيقة التي أخرج عنها، وذلك في حق الله هو كنه ذاته وصفاته التي لا يعلمها غيره؛ ولهذا قال مالك وربيعة وغيرهما: "الاستواء معلوم والكيف مجهول"، وكذلك قال ابن الماجشون وأحمد بن حنبل وغيرهما من السلف، يقولون: إنا لا نعلم كيفية ما أخرج الله عن نفسه وإن علمنا تفسيره ومعناه.

ولهذا رد أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) على الجهمية والزنادقة فيما طعنوا فيه من متشابه القرآن وتألوله على غير تأويله، فرد على من حمله على ما أريد به، وفسر هو جميع الآيات المتشابهة وبين المراد به.

كذلك الصحابة والتابعون فسروا جميع القرآن، وكانوا يقولون: إن العلماء يعلمون تفسيره وما أريد به "٩١".

من علماء السلف المعاصرين الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين (ت ١٤٢١هـ) رر ما كان عليه السلف بقوله: "ظواهر نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار ومجهولة باعتبار آخر، فباعتبار المعنى هي معلومة، وباعتبار الكيفية التي هي عليها مجهولة، قد دل على ذلك: السمع والعقل".

م ساق الأدلة التي تبين أن التدبر لا يكون إلا فيما يمكن الوصول إلى فهمه، ليتذكر الإنسان بما فهمه منه.

ثم قال: "وكون القرآن عربياً ليعقله من يفهم العربية يدل على أن معناه معلوم، وإلا لما كان فرق بين أن يكون باللغة العربية أو غيرها، وبيان النبي ﷺ القرآن للناس شامل لبيان لفظه وبيان معناه"، واستدل لصحة مذهب السلف بالعقل فقال: "وأما العقل فلأن من المحال أن يزل الله تعالى كتاباً أو يكلم رسوله ﷺ، بكلام يقصد بهذا الكتاب وهذا الكلام أن يكون هداية للخلق، ويبقى في أعظم الأمور وأشدّها ضرورة مجهول المعنى، بمزلة الحروف المحاذية التي لا يفهم منها شيء لأن ذلك من السفه الذي تاباه

حكمة الله تعالى وقد قال الله تعالى عن كتابه: ﴿كَتَبَ الْكُتُبَ أَلْفَ مِائَةِ ثَمَانٍ مِائَةٍ ثُمَّ قُرِئَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [هود: ١٠١] (٩٢).

وقال العلامة الشيخ السلفي عبد الرحمن البراك في تعليقه على فتح الباري: "نصوص الصفات ومنها الاستواء قد حفي معناها على كثير من الناس، فوقعوا في الاضطراب فيها، وعلم العنماء من السلف وأتباعهم معانيها المرادة منها، فأنبتوها، وفوضوا علم حقائقها وكيفياتها إلى الله تعالى" (٩٣) ثم استشهد بقول مالك وشيخه ربيعة الرأي. وهذا العرض والبيان يتضح منهج السلف وموقفهم من صفات الرب تعالى، وأما صفات معلومة المعاني، ثابتة للرب تعالى على الحقيقة من غير تكيف أو تشبيه لها بصفات المخلوقين.

المطلب الرابع: تقريرهم التفريق بين إضافة الملك وإضافة الصفة.

التمييز بين الأمور وعدم الخلط بينها مما يميز مذهب السلف عن غيره، فهم يميزون بين أنواع الإضافات إلى الرب تعالى فلا يخلطون بينها، ولا يحددون شيئا منها، ولذا فهم يفرقون بين إضافة الملك الخاصة، وإضافة الإيجاد العامة، وإضافة الصفة للموصوف، وبذا أثبتوا للرب تعالى ما يليق به من الصفات التي أضافها إلى نفسه كالعلم، والسمع، والبصر، واليد، والوجه، وغير ذلك مما جاء به النص، خلافا لمن ضل في هذا الباب من الطوائف التي لم تميز بين نوعي الإضافة، كالجهمية والمعتزلة الذين أنكروا إضافة الصفات إلى الرب تعالى، وجعلوها من باب إضافة التشريف.

فالأولى إضافة ملك، وهي من الإضافات الخاصة، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَأَلْتَهُ وَنَقَحْتُمْ يَوْمَ يَرْجُى فَعُولُهُ سَجْدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩] فأضاف الروح هنا إلى خالقه ومالك، وهي عند السلف من الإضافات الخاصة للتشريف والتكريم، ومثلها:

بيتي، في قوله تعالى: ﴿وَلَطَمَرِيتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].

وعبد الله، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ مَلَأَ قَامَ عَبْدَ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩].

وناقة الله، في قوله تعالى: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ [الشمس: ١٣].

الروح والعبد والناقة أعيان قائمة بنفسها، وهي مخلوقة مربوبة مدبرة، أضيفت إلى الرب تعالى من باب التكريم والتشريف والتميز.

والثاني إضافة إيجاد، وهي من الإضافات العامة إلى الربوبية؛ وهي تقتضي الخلق والإيجاد لا التشريف والاختيار كسابقتهما.

وقد فصل الكلام في ذلك ابن القيم (ت ٧٥١هـ) رحمه الله تعالى لما تكلم على الروح المضافة إلى الرب تعالى، فقال: "هذه إضافة إلى إلهيته تقتضي محبته لها وتكريمه وتشريفه، بخلاف الإضافة العامة إلى ربوبيته؛ حيث تقتضي خلقه وإيجاده.

فالإضافة العامة تقتضي الإيجاد، والخاصة تقتضي الاختيار، والله يخلق ما يشاء ويختار مما خلقه، كما قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، وإضافة الروح إليه من هذه الإضافة الخاصة لا من العامة، ولا من باب إضافة الصفات، فتأمل هذا الموضع فإنه يخلصك من ضلالات كثيرة وقع فيها من شاء الله من الناس" (٩٤).

والثالث إضافة صفة إلى موصوف؛ كما في قوله تعالى ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، فالرحمة صفة تقوم بغيرها لا بذاتها، فهي من باب إضافة الصفة إلى الموصوف.

ومثلها: ﴿وَبَيْنَ يَدَيْ رَبِّكَ ذُؤْلَانِ لِلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وكذا: فَأَجْرُهُ حَقٌّ يَسْمَعُ كَلِمَ اللَّهِ ﴿[التوبة: ٦]، فالوجه والكلام صفاتان لا تقوم بذاتهما، وإنما بالموصوف بهما، وهو الرب تبارك وتعالى.

ومثلها: العلم، والقدرة، والسمع، والبصر، واليد، كلها تضاف إلى الرب تعالى إضافة صفة إلى موصوف؛ لأنها صفات ومعاني تقوم بغيرها، وعليه فلا يصح التسوية بينها وبين المضافات للتشريف والتكريم أو المضافات للخلق والإيجاد كما مر.

وقد قرر السلف هذه المسألة، وردوا بها على من جحد الصفات من الجهمية والمعتزلة الذين جعلوا إضافة الصفات إلى الرب تعالى من باب إضافة التشريف، فعطلوه عما يليق به من الصفات التي أضافها إلى نفسه.

يقول شيخ الإسلام (ت ٧٢٧هـ) في تقرير المسألة: "والمضاف إلى الله إن كان صفة لم تقم بمخلوق كالعلم، والقدرة، والكلام، والحياة، كان صفة له، وإن كان عينا قائمة بنفسها أو صفة لغيره كالييت، والناقة، والعبد، والروح، كان مخلوقاً مملوكاً مضافاً إلى خالقه ومالكه، ولكن الإضافة تقتضي اختصاص المضاف بصفات تميز بها عن غيره حتى استحق الإضافة، كما اختصت الكعبة، والناقة، والعباد الصالحون بأن يقال فيهم: بيت الله، وناقة الله، وعباد الله كذلك.

واختصت الروح المصطفاة بأن يقال لها: روح الله، بخلاف الأرواح الخبيثة كأرواح الشياطين والكفار، فإنها مخلوقة لله ولا تضاف إليه إضافة الأرواح المقدسة، كما لا تضاف إليه الجمادات كما تضاف الكعبة، ولا نوق الناس كما تضاف ناقة صالح التي كانت آية من آياته" (٩٥).

وقال في موطن آخر: "وما ذكر في القرآن أنه منه أو ما أضيف إليه، فإن كان عينا قائمة بنفسها أو أمراً قائماً بتلك العين كان مخلوقاً، كقوله في عيسى: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، وقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جِيحَادَهُ﴾ [البقرة: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَكُمُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

وأما ما كان صفة لا تقوم بنفسها ولم يذكر لها محل غير الله كان صفة له، فكالقول، والعلم، والأمر إذا أريد به المصدر كان المصدر من هذا الباب، كقوله تعالى: ﴿الْأَلَهُ الْخَافِقُ وَالَّذِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] وإن أريد به المخلوق المكون بالأمر كان من الأول، كقوله تعالى: ﴿أَنْ أَمُرُ اللَّهَ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١].

وهذا يفرق بين كلام الله سبحانه، وعلم الله، وبين عبد الله، وبيت الله، وناقة الله، وقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧]، وهذا أمر معقول في الخطاب، فإذا قلت: علم فلان وكلامه ومشيتته، لم يكن شيئاً بايناً عنه؛ والسبب في ذلك: أن هذه الأمور صفات لما تقوم به، فإذا أضيفت إليه كان ذلك إضافة صفة لموصوف، إذ لو قامت بغيره لكانت صفة لذلك الغير لا لغيره" (٩٦).

وقال الإمام ابن القيم (ت ٧٥١هـ) عند قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [انصت: ٤٢] وما شأهما من الآيات: "ما كان من الله فليس بمخلوق، ولا ينتقض هذا بأن

الرزق والمطر وما في السموات والأرض جميعاً منه وهو مخلوق؛ لأن ذلك كله أعيان قائمة بنفسها وصفات وأفعال لتلك الأعيان، فإضافتها إلى الله سبحانه وإثباتها منه إضافة خلق، كإضافة بيته، وعبدته، وناقته، وروحه، وبابه، وإليه، بخلاف كلامه فإنه لا بد أن يقوم بمتكلمه، إذ كلام من غير متكلم كسمع من غير سامع، وبصر من غير مبصر، وذلك عين الحال، فإذا أضيف إلى الرب كان بمثابة إضافة سمعه، وبصره، وحياته، وقدرته، وعلمه، ومشيته إليه.

ومن زعم أن هذه إضافة مخلوق إلى خالق فقد زعم أن الله لا سمع له ولا بصر، ولا حياة، ولا قدرة، ولا مشيئة تقوم به، وهذا هو التعطيل الذي هو شر من الإشراك. وإن زعم أن إضافة السمع، والبصر، والعلم، والحياة، والقدرة، إضافة صفة إلى موصوف، فإضافة الكلام إليه إضافة مخلوق إلى خالق فقد تناقض وخرج عن موجب العقل، والفطرة، والشرع، ولغات الأمم، وفرق بين مماثلين حقيقةً، وعقلاً، وشرعاً، وفطرةً، ولغةً^(٩٧).

وقال الإمام ابن أبي العز (ت ٧٩٤هـ): "فينبغي أن يعلم أن المضاف إلى الله نوعان: صفات لا تقوم بأنفسها، كالعلم، والقدرة، والكلام، والسمع، والبصر، فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها، فعلمه وكلامه، وقدرته، وحياته، صفات له، وكذا وجهه، ويده سبحانه.

والثاني: إضافة أعيان منفصلة عنه، كالبيت، والناقّة والعبد، والرسول، والروح، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، لكن إضافة تقتضي تخصيصاً وتشريفاً، يتميز بها المضاف عن غيره^(٩٨).

وعلى نفس المتوال جاء كلام السفاريني (ت ١١١٨هـ) بمزيد تفصيل وبيان، إذ قال: "وما ينبغي أن يعلم أن المضاف إلى الله سبحانه نوعان:

صفات لا تقوم بأنفسها كالعلم، والقدرة، والكلام، والسمع، والبصر، وهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها، فالعلم والقدرة إلخ صفات له تعالى غير مخلوقة، وكذا وجهه ويده ونحو ذلك من الصفات الخيرية والذاتية، وكذا الفعلية من التكوين، والمحبة، والرضا، ونحوها في مذهب السلف كما مر.

والثاني: إضافة أعيان منفصلة كبيت الله، وناقة الله، وعبد الله، ورسول الله، وكذلك روح الله، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، ومصنوع إلى صانعه، لكنها تقتضي تخصيصاً أو تشريفاً يتميز به المضاف إليه عن غيره، كبيت الله، وإن كانت كل البيوت لله^(٩٩). ومن علماء السلف المتأخرين العلامة عبد الرحمن بن قاسم (ت ١٣٩٢هـ) قرر ما قرره السلف السابقون، إذ قال: "المضاف إليه سبحانه: نوعان:

أحدهما: أعيان قائمة بأنفسها، كبيت الله، وناقة الله، وروح الله، وعبد الله، فهذا إضافة مخلوق إلى خالقه، وهي إضافة اختصاص وتشريف.

الثاني: إضافة صفة إلى موصوفها، كسمعه، وبصره، وحياته، وعلمه، وقدرته، وكلامه، ووجهه، ويده... إلخ^(١٠٠).

ومن السلف المعاصرين الشيخ الأستاذ الدكتور عبد الله الغنيمان، قال: "والمضاف إلى الله تعالى إما أن يكون أعياناً قائمة بنفسها، كبيت الله، وناقة الله، ورسول الله، وعرش الرحمن، وما أشبه ذلك وهذا النوع من إضافة المخلوق إلى خالقه؛ لتفضيلها على غيرها من المخلوقات.

وإما إضافة معان، كعلم الله، وقدره الله، وحياته الله، وسمع الله وبصره، وما أشبه ذلك، وهذا النوع لا يكون إلا إضافة صفة إلى من تقوم به؛ لأنها لا تقوم بنفسها كما هو معلوم^(١٠١).

هذا نزر يسير من أقوال السلف في نوع المضاف إلى الرب تعالى وحكمه، وهو يبين موقفهم من الصفات وأنهم يثبتونها لله تعالى مفرقين بين إضافة وأخرى، وأنهم لم يسلكوا مسلك من ضل في هذا الباب من الطوائف التي لم تفرق بين إضافة الملك وإضافة الصفة حتى أنكرت الصفات، وأن إضافة الملك تقتضي التشريف لعين قائمة بنفسها، وإضافة الصفة تقتضي إضافة الصفة إلى الموصوف بما كونه لا تقوم بذاتها.

وأكتفي بهذه القدر من القواعد والضوابط، وما لم أذكره منها كثير ولبعضها تفرعات، وهي في مجملها تشهد أن مذهب السلف في الصفات هو المذهب الصحيح

دراسة وتقريراً واعتقاداً، وهو الأهدى سبيلاً؛ لارتكازه على أصول ثابتة، وقواعد
مكينة، والله الهادي إلى سواء السبيل.

المبحث الرابع مظاهر اهتمام السلف في تقرير توحيد الصفات

ما كان مذهب السلف ليقى متوجهاً على مر العصور وتقلب الأزمان والدهور لولا
حفظ الله تعالى له تبعاً لحفظه كتابه الكريم، وقد بذل علماء السلف من المتقدمين
والتأخرين من الولادة، والأمرء، والدعاة، والعلماء الجهود الكبيرة والمشرفة لخدمة
دينهم بصفة عامة وخدمة توحيد ربهم بصفة خاصة، ومنه توحيد الصفات الذي هو
موضوع هذه الورقة، يتجلى ذلك من خلال التعليم والتدريس، ومن خلال التأليف
 والتصنيف، ومن خلال المواقف الثابتة، ومن خلال كشف زيف المذاهب الباطلة
 والتحذير من أهلها، وكذا من خلال عقد المؤتمرات والندوات ومنها هذه الندوة
 المباركة والمعنونة بـ ((السلفية منهج شرعي، وواجب وطني)) والتي تعقدها جامعة
 الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بموافقة سامية من لدن خادم الحرمين الشريفين الملك
 عبد الله بن عبد العزيز أعزه الله، وبرعاية كريمة من سمو النائب الثاني الأمير نايف بن
 عبد العزيز وفقه الله ورعاه.

فهي امتداد لمذهب السلف المتقدم، وحلقة قوية من حلقاته التي لا تنفصل عنه ولا
 تنفك، وهي تؤكد أن السلفية ليست مرحلة زمنية مضت وانتهت؛ ولكنها منهج
 فكري ثابت قائم على نصوص الكتاب، وصحيح السنة، وفقه السلف الصالح، المتفق
 مع العقل الصحيح، والفطرة السليمة، ولغة العرب الأصيلة.
 وفي هذه العجالة أسوق على اقتضاب شديد طرفاً من أقوالهم وجهودهم واهتماماتهم
 بالتوحيد ومنه توحيد الصفات.

ففي بيان جهود علماء السلف في الرد على أهل البدع ومنهم المشبهة، يقول شيخ
 الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٧هـ): "مقالة المشبهة الذين يقولون: يد كيدي، وقدم
 كقدمي، وبصر كبصري، مقالة معروفة، وقد ذكرها الأئمة كيزيد بن هارون، وأحمد

بن حنبل، وإسحاق بن راهوية، وغيرهم وأنكروها وذموها، ونسبوا إلى مثل داود الجواربي البصري وأمثاله" (١٠٦).

ويقول الإمام إبراهيم بن علي الطرسوسي (ت ٧٥٨هـ) في بيان منهج السلف، وطريقتهم في عرض العقائد تأليفاً وتعليماً وفي مقدمتها توحيد الأسماء والصفات: "ونجحهم في توحيد الصفات أن يسردوا العقائد للأمة سرداً، مع ذكر أدلتها من الكتاب والسنة، دون أن يغوصوا في تأويلها أو تشبيهها، أو يزلقوا إلى مختلف التصورات الضالة التي سقطت فيها مختلف الفرق، فعقيدتهم بذلك حق بين باطل المشبهة والمجسمة، وبين باطل المعطلة الذين يعتبرون تصرفات الله تعالى غير حقيقية بغلو من التأويل الضال، وعلى هذا النهج كان الأئمة الأربعة رضي الله عنهم، أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد" (١٠٧).

وقال الحافظ ابن رجب (ت ٧٩٥هـ) في نقده لطائفة ممن ضل في الصفات، وبيانه موقف السلف منهم: "ومن محدثات الأمور ما أحدثه المعتزلة ومن حذا حذوهم، من الكلام في ذات الله تعالى وصفاته بأدلة العقول، وهي أشد خطراً من الكلام في القدر؛ لأن الكلام في القدر كلام في أفعاله، وهذا كلام في ذاته وصفاته، وينقسم هؤلاء إلى قسمين: أحدهما: من نفى كثيراً مما ورد به الكتاب والسنة؛ لاستلزامه عنده التشبيه كنفى الرؤية والاستواء، وهذا طريق المعتزلة والجهمية، وقد اتفق السلف على تبديعهم وتضليلهم، وقد سلك سبيلهم في بعض الأمور كثير ممن يتسبب إلى السنة والحديث من المتأخرين. والثاني: من رام إثبات ذلك بأدلة العقول التي لم يرد بها الأثر، ورد على أولئك" (١٠٨).

وقد صنف علماء السلف في التوحيد بصفة عامة، وفي توحيد الأسماء والصفات بصفة خاصة مصنفات ذكر بعضها الإمام مرعي بن يوسف (ت ١٠٣٣هـ) على سبيل الإجمال، فقال: "كلام السلف في هذا الباب موجود في كتب كثيرة لا يمكن أن نذكر منها هنا إلا قليلاً، مثل: كتاب السنن للالكائي، والإبانة لابن بطة، والسنة لأبي ذر الهروي، ولأبي عبد الله بن منده، والأصول لأبي عمر الطلمنكي، وكلام أبي عمر بن عبدالمعالي والأسماء والصفات للبيهقي، وقبل ذلك السنة للطبراني، ولأبي الشيخ

الأصبهاني، وقبل ذلك السنة للخلال، والتوحيد لابن خزيمة، وكلام أبي العباس بن سريج والرد على الجهمية لجماعة، وقبل ذلك السنة لعبدالله بن الإمام أحمد، والسنة لأبي بكر الأثرم، والسنة لحنبل وللمروزي ولأبي داود ولابن أبي شيبة، والسنة لابن أبي حاتم، وكتاب الرد على الجهمية لعبدالله بن محمد شيخ البخاري، وكتاب الرد على الجهمية للدارمي، وكتاب نعيم ابن حماد الخزاعي، وكتب عبدالرحمن بن أبي حاتم، وكلام الإمام أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، ويحيى بن يحيى النيسابوري، وأمثالهم... ثم القول الشامل في جميع هذا الباب: أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله وبما وصفه به السابقون الأولون لا تتجاوز القرآن والحديث^(١٠٥).

ويقول الإمام السفاريني (ت ١١١٨هـ) في ثنائه على مذهب السلف، وبيانه لطريقتهم وحقيقة فهمهم وتعاملهم مع النصوص، وبيان خطأ وبطلان ما ألصق بهم مما هم بريئون منه ما نصه: "مذهب السلف هو المذهب المنصور، والحق الثابت المأثور، وأهله هم الفرقة الناجية، والطائفة المرحومة التي هي بكل خير فائزة، ولكل مكربة راجية، من الشفاعة والورود على الخوض، ورؤية الحق، وغير ذلك من سلامة الصدر والإيمان بالقدر، والتسليم لما جاءت به النصوص.

فمن المحال أن يكون الخالفون أعلم من السالفين، كما يقوله بعض من لا تحقيق لديه ممن لا يقدر قدر السلف، ولا عرف الله تعالى ولا رسوله ولا المؤمنين به حق المعرفة بالمأمور بها من أن طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم، وهؤلاء إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بالآفاظ القرآن والحديث من غير فقه ذلك بمقالة الأئمة، وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المعروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات، فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهور، وقد كذبوا وأفكوا على طريقة السلف، وضلوا في تصويب طريقة الخلف، فجمعوا بين باطلين: الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم، والجهل والضلال بتصويب طريقة غيرهم^(١٠٦).

وقد ذكر العلامة الشيخ عبد الله بن جبرين (ت ١٤٣٠هـ) - وهو من علماء السلف المعاصرين - جهود السلف السابقين في التأليف في باب الصفات وسبب تأليفهم، وبين ما قد يشكل من مسميات كتبهم، فقال رحمه الله ما نصه: "وقد اجتهد السلف

رحمهم في تفتير توحيد الصفات، وما ذاك إلا لأنهم ابتلوا في زمانهم بمن أنكروه أو بمن غلا في إثباته، فقد أنكروه قوم -وسمواهم الجهمية والمعتزلة- حيث نفوا صفات الله تعالى ذاتية كانت أو فعلية، وغلا فيه قوم -وسمواهم المشبهة- حيث زادوا في الإثبات حتى جعلوا صفاته كصفات خلقه، فاجتهد السلف رحمهم الله في إثبات ذلك، وقرروه أتم تقرير، وكتبهم بحمد الله موجودة ميسرة، وهي الكتب التي سموها (كتب السنة)، أو (كتب التوحيد)، أو (كتب الإيمان)، أو (الاعتقاد)، أو (الأسماء والصفات)، أو ما أشبه ذلك من الأسماء.

فإذا وجدت للسلف كتاباً باسم (كتاب السنة) فإنه يعني الصفات، أو وجدت كتاباً باسم (التوحيد) فإنه يعني توحيد الصفات، أو وجدت كتاباً باسم (الاعتقاد) فإنه يعني هذا الباب، أو وجدت كتاباً باسم (الأسماء والصفات) فإنه يعني به هذا الأمر، أو وجدت كتاباً باسم (الإيمان) فإنه يعني به هذا التوحيد" (١٠٧).

ومن علماء السلف المعاصرين المجاهدين لأهل الزيغ والضلال الشيخ العلامة صالح الفوزان، فإنه لما تكلم عن توحيد الأسماء والصفات قال: "وهذا القسم قد جحدته الجهمية وتلاميذهم، وهو في الحقيقة داخل في توحيد الربوبية، لكن لما كثر منكره وروجوا الشبه حوله؛ أفرد بالبحث، وجعل قسماً مستقلاً، وألفت فيه المؤلفات الكثيرة. فألف الإمام أحمد رده المشهور على الجهمية، وألف ابنه عبد الله كتاب السنة، وألف عبد العزيز الكثاني كتاب الحيدة في الرد على بشر المريسي، وألف أبو عبد الله المروزي كتاب السنة، وألف عثمان بن سعيد كتاب الرد على بشر المريسي، وألف إمام الأئمة محمد بن خزيمة كتاب التوحيد، وألف غير هؤلاء كشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم هؤلاء ومن جاء بعدهم وسار على نهجهم، فله الحمد والمنة على بيان الحق ودحض الباطل" (١٠٨).

وقد أجاد الباحث الدكتور خالد كبير إذ ذكر طائفة من العلماء ممن كان لهم جهود في نصره مذهب السلف مبينا بإيجاز نوع اهتمامهم، فقال: "ومن رجالها في القرن الخامس الهجري خمسة علماء، أولهم شيخ الشافعية ببغداد أبو حامد الاسفراييني (ت ٤٠٦هـ) قاوم الأشعرية الأولى في سعيها لنشر أفكارها و التسلل إلى الشافعية.

وثانيهم الحافظ أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي البغدادي (ت ٤١٨هـ)، صاحب كتاب شرح اعتقاد أهل السنة، أثبت فيه مذهب السلف في الصفات و رد على الأشاعرة وغيرهم.

وثالثهم أبو عثمان إسماعيل الصابوني (ت ٤٤٩هـ)، له كتاب في اعتقاد أهل السنة، نصر فيه مذهب السلف، و خالف الأشعرية في التأويل و الإيمان وغيرهما.

ورابعهم الحافظ أبو بكر بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، له كلام جيد في تقرير مذهب السلف في الصفات.

وآخرهم - أي الخامس - الحافظ الصوفي أبو القاسم سعد بن علي الزنجاني المكي (ت ٤٧١هـ) كان من أصحاب الحافظ أبي نصر السجزي، و له رد على أبي ذر الهروي الأشعري، و قصيدة في قواعد أهل السنة^(١٠٩).

وقد ذكر جملة من علماء القرن السادس، فقال: "أولهم الفقيه محمد بن عبد المالك الكرجي (ت ٥٣٢هـ)، له قصيدة مشهورة في عقيدة السلف، وله كتاب الفصول في اعتقاد الأئمة الفحول، حكى فيه مذهب السلف عن عشرة من أئمته، كسفيان الثوري، و عبد الله بن المبارك، و الليث بن سعد.

وثانيهم المتكلم أبو الحسن أحمد بن الأبنوسي البغدادي (ت ٥٢٤هـ)، كان شافعي الفروع معتزلي الأصول، ثم ترك الاعتزال و تحول إلى مذهب أهل الحديث في الأصول. وثالثهم المقرئ اللغوي أبو البيان محمد بن محفوظ السلمي الدمشقي (ت ٥٥١هـ)، كان لهجا بإثبات الصفات، منافرا للمتكلمين نفاة الصفات، وقد جرى بينه و بين الشيخ الأمين بن تميم الأشعري كلام في مسألة كلام الله تعالى، فقال له أبو البيان: "ويحك ، الحنابلة إذا قيل لهم ما الدليل على أن القرآن بحرف و صوت، قالوا: قال الله كذا، وقال رسوله كذا، وسرد الآيات و الأخبار عن ذلك، ثم قال له: و أنتم إذا قيل لك : ما الدليل على إن القرآن معنى قائم بالنفس؟ قلتم: قال الأخطل: إن الكلام لفي الفؤاد، ثم قال له: إيش هذا الأخطل، نصراني خبيث، بنيتم مذهبكم على بيت شعر من قول، و تركتم الكتاب والسنة.

والرابع هو شيخ الشافعية باليمن أبو الخير يحيى بن سالم العمراني (ت ٥٥٨هـ)، كان شافعي الفروع حنبلي الأصول، له كتاب مشهور في مذهب السلف نصر فيه مقالاتهم ورد فيه على الجهمية والأشاعرة.

وآخرهم - أي الخامس - المقرئ أبو عبد الله الكيزاني المصري (ت ٥٦٢هـ)، تعصب عليه النجم الخبوشاني الأشعري، فنبش قبره و أخرج رفاتة و دفنها في موضع آخر، لأنه كان على مذهب الخنابلة وأهل الحديث في الأصول، و لم يكن أشعريا مثله، فلم تشفع عنده شافعيته لئيقه مدفونا بجانب قبر الشافعي! (١١٠).

ومؤلفات السلف في هذا الباب كثيرة جدا، وهي تحتاج إلى دراسة مستقلة لا تكفي بحقها هذه الأوراق؛ بل تحتاج إلى دراسة متخصصة مستقلة ذات منهجية معينة، تقوم بحصر مصنفاتهم في القلم والحديث، ومن ثم التعريف بأصحابها وما تضمنته كتبهم من موضوعات وأفكار سواء ما يتعلق بعرض عقائد السلف على استقلال، أو بعرض الشبه ودحضها.. وعسى أن يكون لجامعة الإمام سبق في ذلك، كما كان لها سبق في عقد هذه الندة المباركة عن السلفية.

محنة العلماء في العقيدة:

تعرض بعض علماء السلف للامتحان بسبب ثباتهم على عقيدة السلف، ومن أبرز المبتلين الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، الذي ابتلى في مسألة خلق القرآن، والتي سجن بسببها وضرب، وسجن معه آخرون من علماء السلف وقتل بعضهم، وخير المحنة مشهور في كتب التاريخ والسير مما يتعذر الاسترسال فيه الآن، ولكني أذكر بكلمتين.

الأولى: لابن المديني (ت ٢٤٣هـ)، فقد حفظ لنا التاريخ قوله: "نصر الله هذا الدين برجلين: أبي بكر يوم الردة، وأحمد يوم المحنة" (١١١).

والثانية: لأبي الحسن الأشعري (ت ٣٢٤هـ) الذي سطر لأحمد أجمل ثناء وأعطره، إذ قال: "قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب الله ربنا عز وجل، وبسنة نبينا محمد ﷺ، وما روى عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن

بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل - نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته - قائلون، ولما خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيع الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم، وجليل معظم، وكبير مفهم^(١١٢).

هذا أنموذج واحد من جهاد العلماء وصيرهم في سبيل نصره عقيدة السلف، وتضحيتهم من أجلها، فجزاهم الله خيرا.

تحذير علماء السلف من أهل الأهواء والبدع:

ولا يفوتني التنبيه على أن السلف قد أدركوا خطورة مسالك أهل الأهواء والبدع، فحذروا منهم أشد التحذير، ولهم في ذلك جهود واضحة مشكورة، وعبارات خالدة مشهورة، لعل من أبرزها:

قول الحسن البصري (ت ١١٠هـ) محذرا: "لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم، ولا تسمعوا منهم"^(١١٣).

وكذا حذر الإمام مالك (ت ١٢٩هـ) من علم الكلام مبينا أن سلف الأمة الأول لم يخوضوا فيه لبطلانه، فقال: "لو كان الكلام علما لتكلم فيه الصحابة والتابعون، كما تكلموا في الأحكام والشرائع، ولكنه باطل يدل على باطل"^(١١٤).

وقال أبو يوسف صاحب أبي حنيفة (ت ١٨٢هـ): "العلم بالكلام هو الجهل، والجهل بالكلام هو العلم"^(١١٥).

وقال الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ) في أهل الكلام قوله المشهورة: "حكمي في أهل الكلام أن يُطاف بهم في القبائل والعشائر ويضربوا بالجرید، ويُقال: هذا جزء من ترك كتاب الله واتباع علم الكلام"^(١١٦).

وقال مرة: "لأن يتلى المرء بما نعى الله خلا الشرك بالله خير له من يتلى بالكلام"^(١١٧). وكذا قال الإمام أحمد (ت ٢٤١هـ) مبينا فساد قلوب المتكلمين: "لا يفلح صاحب كلام أبداً، ولا تكاد ترى أحداً نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل"^(١١٨).

وقال أبو محمد البرهماري (ت ٣٢٩هـ) مينا خطر الكلام، وكونه سببا لكثير من الطوام التي وقى الله السلف منها، فقال: "اعلم أنه لم تكن زندقة، ولا كفر، ولا شكوك، ولا بدعة، ولا ضلالة، ولا حيرة في الدين، إلا بسبب الكلام، وأهل الكلام والجدل والمراء والخصومة والعجب.

وكيف يجتري الرجل على المراء والخصومة والجدل، والله يقول: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [غافر: ٤] ؟ فعليك بالتسليم والرضا بالآثار والكف والسكوت" (١١٩).

وقال أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إسحاق من علماء القرن الرابع — لا تعرف سنة وفاته —: "أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام فكل متكلم فهو من أهل البدع والأهواء: أشعريا كان أو غير أشعري، ولا تقبل لهم شهادة في الإسلام، ويهجرون ويؤدبون على بدعتهم" (١٢٠).

وحكى الإمام ابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) الإجماع على بدعية أهل الكلام، وأن أئمتهم لا يعدون من زمرة العلماء الحقيقيين، وهم أهل الأثر من السلف: "أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار: أن أهل الكلام أهل بدع وزيف، ولا يعدون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء، وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه، ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم" (١٢١).

وقد وصف الغزالي (ت ٥٠٥هـ) خطر الكلام على إفساد الدين وزلزلة العقيدة، وقد كان له تجربة طويلة مع الكلام، فقال: "ما يشوشه الكلام في الدين والجدل أكثر مما يمهده، وما يفسده أكثر مما يصلحه، وتقوية المعرفة بالكلام يضاهي ضرب الشجر بالمرقة من الحديد رجاء تقويتها، ففسد عقيدة أهل الصلاح والتقوى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين، فترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ لا يحركه شيء، وعقيدة المتكلم الحارس عقيدته بتقسيمات الجدل كخيط مرسل في الهواء تقيئه الريح مرة هكنا ومرة هكنا" (١٢٢).

هذه جهود علماء السلف، وهذه تحذيراتهم من الكلام وأهله، ومن كل ما يكون سببا لإفساد الدين، وقد كان لهذه التحذيرات والجهود أثرها في حماية كبر جناب الأمة من

سلوك طريق المتكلمين الذي تعثر فيه كبارهم، فرجع جمع منهم إلى حظيرة السلف، نابذين خلفهم الكلام وأهله بعد إن اكتروا بناره التي كادت تحرقهم، ولهم في ذلك كلام كثير وعبارات مؤثرة موضعها المبحث القادم بمشيئة الله.

المبحث الخامس تأثير الموقف السلفي على المتكلمين

لما كان مذهب السلف هو المذهب الحق الذي يخاطب العقل والفطرة، ويتفق مع نصوص الوحي، ومع قواعد اللغة التي أنزل بها القرآن، فلا غرابة أن نجد طائفة من علماء الكلام الكبار قد تخلوا عن مذهبهم وطريقتهم التي أورثتهم الشك والحيرة، والقلق والاضطراب إلى مذهب السلف لما تبين لهم الحق وكبت لهم الهداية. وسأعرض بإيجاز لأبرز الأعلام الذين عادوا إلى حظيرة السلف، قالين لمذاهبهم السابقة في تأويل الصفات، نادمين على ما فات من أعمارهم التي قضوها في دياجير الضلالة والبدعة.

والغاية من ذلك تقرير أن مذهب السلف هو المذهب الحق، الذي هو أساطين المتكلمين حتى عادوا إليه مذعنين، وعنه منافع، وله ناصرين، وتقدير أن من عرف مذهب السلف عن قناعة وعمل به فإنه لا يتركه أبداً، ولا ينتقل منه إلى غيره مهما جرى، بخلاف المذاهب الأخرى التي تورث القلق والحيرة والشك والاضطراب، فسرعان ما يتركها أصحابها إذا ما تبين لهم الحق وكانوا طلاب هدى لا هوى.

فمن هؤلاء الأعلام البارزين: الجويني (ت ٤٧٦هـ)، والباقلاني (ت ٤٠٣هـ)، والغزالي (ت ٥٠٥هـ)، والشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)، والرازي (ت ٦٠٦هـ). قال الإمام الشوكاني (١٢٥٠هـ): "وهؤلاء الثلاثة، أعني: الجويني، والغزالي، والرازي، هم الذين وسعوا دائرة التأويل وطولوا ذيلوله، وقد رجعوا آخرها إلى مذهب السلف كما عرف، فله الحمد كما هو له أهل"^(١٢٣).

وقال المعلمي (١٣٨٦هـ): "وقد أبلغ الله تبارك وتعالى في إقامة الحجة على اختلال النظر المتعمق في الإلهيات، بأن يسر لبعض أكابر النظار المشهورين بالاستقلال أن

يرجعوا قبيل موته إلى ثمنى الحال التي عليها عامة المسلمين، فمنهم الشيخ أبو الحسن الأشعري، وأبو المعالي ابن الجويني الملقب إمام الحرمين، وتلميذه الغزالي، والفخر الرازي^(١٢٤).

ومما أثر عن الجويني (ت ٤٧٦هـ) في التحذير من الكلام والرجوع عنه إلى ما كان عليه السلف ما حكاه الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ) عنه أنه قال: "يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به... وحكى لنا الإمام أبو الفتح محمد بن علي الفقيه، قال: دخلنا علي الإمام أبي المعالي ابن الجويني نعوده في مرض موته، فأقعد، فقال لنا: اشهدوا علي أنني قد رجعت عن كل مقالته قلتها أخالف فيها ما قال السلف الصالح، وإني أموت على ما تموت عليه عجائز نيسابور"^(١٢٥).

وهو القائل: "لقد قرأت خمسين ألفاً في خمسين ألفاً ثم خليت أهل الإسلام بإسلامهم فيها، وعلومه الطاهرة، وركبت البحر الخضم، وغصت في الذي نهي أهل الإسلام عنها، كل ذلك في طلب الحق وكنت أهرب في سالف الدهر من التقليد، والآن قد رجعت عن الكل إلى كلمة الحق: "عليكم بدين العجائز"^(١٢٦).

ومما أثر عن أبي بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ)، ما ذكره الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) لما تكلم عن كبار المتكلمين الذين رجعوا عن تأويل الصفات، بقوله: "أما كبيرهم الذي هو أفضل المتكلمين المتسبين إلى أبي الحسن الأشعري، وهو القاضي محمد بن الطيب المعروف بأبي بكر الباقلاني، فإنه كان يؤمن بالصفات على مذهب السلف ويمنع تأويلها منعاً باتاً، ويقول فيها بمثل ما قدمنا عن الأشعري"^(١٢٧).

ومما أثر عن الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، إنه: "رحمه الله، انتهى آخر أمره إلى الوقف والحيرة في المسائل الكلامية، ثم أعرض عن تلك الطرق وأقبل على أحاديث الرسول ﷺ، فمات وصحيح الإمام البخاري على صدره"^(١٢٨).

قال الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ): "كان في زمانه من أعظم القائلين بالتأويل ثم رجع عن ذلك، وبين أن الحق الذي لا شك فيه هو مذهب السلف"^(١٢٩).

ومما أثر عن الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)، قوله:

لقد طفت في تلك المعاهد كلها وسيرت طرقي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعاً كف حائر على ذقن أو قارعاً سن نادم

ثم قال : عليكم بدين العجائز ؟ فإنه أسنى الجوائز^(١٣٠)

ومما أثر عن الرازي (ت ٦٠٦ هـ) في كتابه الذي صنفه في أقسام اللذات، قوله:

نهاية إقدام العقول عقاب وغاية سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسمنا وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

فكم قد رأينا من رجلل ودولة فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا

وكم من جبال قد علت شرفاتها رجال فزالوا والجبال جبال

لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عيلاً، ولا تروي

غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن.

اقرأ في الإثبات: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾

[فاطر: ١٠]، واقرأ في النفي: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴿[الشورى: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾

﴿طه: ١١٠﴾، ثم قال: ومن حرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي^(١٣١).

هذه جملة من عبارات المتكلمين الذين أظهروا تأسفهم، وأعلنوا ندمهم وتوبتهم عن

الكلام، وصرحوا برجوعهم إلى ما كان عليه سلف الأمة، ولسان أحدهم يقول:

ذهبت لدائي وانقضت أيامهم وغيرت بعدهم ولست بخالد

وهي عبارات تفرع القلب بصدقها؛ ولا أصدق من عبارات التوبة والندم والوصية عند

الموت ومفارقة الدنيا؛ لأن تلك الساعة لا تزلف فيها، ولا بحاملة، ولا نفاق، وإن في

كلام الأئمة الآنف ذكرهم لعظة وعبرة، قد يتفجع بها أقوام فيسعدوا، أو يعرضوا عنها

فيشقوا.

وإن هذه المواقف تجعلني أقول بكل ثقة واطمئنان: إن من يعرف مذهب السلف

ويقف على حقيقته فإنه لا يتخلى عنه ولو انفردت سالفته، بخلاف المذاهب الأخرى

التي تورث الحيرة والقلق، فإن أصحابها سرعان ما يتركونها إذا ما تبين لهم الحق في

غيرها .. والله الهادي إلى سواء السبيل.

الختمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد انتهت — بعون الله وتوفيقه — من إتمام هذا البحث وإكماله، وفي ختامه أجمل أهم النتائج التي توصلت إليها في النقاط الآتية:

- ١- إن السلفية ليست مرحلة زمنية مضت وانتهت؛ ولكنها منهج فكري ثابت قائم على نصوص الكتاب، وصحيح السنة، وفقه السلف الصالح، المتفق مع العقل الصحيح، والفطرة السليمة، ولغة العرب الأصيلة.
- ٢- إن السلفية في الصفات تتوسط الفرق والطوائف المخالفة، ووسطيتها قائمة على الدليل والبرهان.
- ٣- إن السلفية بنت معتقدها في الصفات على أسس وقواعد ثابتة تشهد بصحة طريقتها، وسلامة منهجها، وأنها هي الحق والصواب المتفق مع الكتاب والسنة.
- ٤- إن الله قد سخر للسلفية في كل عصر ومصر رجالاً يحملونها، ويناضلون عنها، ويلغونها للناس أجمعين.
- ٥- إن السلفية قد أثرت على أعلام بارزين من رؤوس الكلام، فتركوا ما كانوا عليه من مخالفات لما استبان لهم الحق؛ ليلحقوا بركب السلف المهتدين.

توصيات الباحث: بما أن السلفية تمثل الإسلام الوسطي الصحيح بلا ريب، فإني أوصي بتكوين لجنة متخصصة ذات كوادرات علمية عالية، للعناية بكتب العقيدة السلفية النقية، وفق منهجية معينة، وتكون مهمتها الرئيسة حصر مصنفات السلف ومؤلفاتهم

في باب الاعتقاد في القديم والحديث، ومن ثم التعريف بأصحابها وما تضمنته كتبهم من موضوعات وأفكار.

ومن ثم طباعتها - طباعة فاخرة - كمجموعة علمية متكاملة ورقياً، وإلكترونياً، مع تسهيل الوصول إليها علمياً.

أقول هذا؛ لثلاثة أسباب:

الأول: جهل كثير من أبناء المسلمين بمصادر العقيدة السلفية النقية في الجملة.

والثاني: تعدد مصادر التلقي أمام الناشئة، واختلاط الصالح منها بالطالح، مع عجزنا عن الدفع التام للمصادر المنحرفة أو المضللة بالمنع أو الحجب وتكثيف الرقابة.

الثالث: المساهمة الفاعلة في نشر العقيدة السلفية التي تمثل الإسلام الصحيح.

فإذا كنا نرغب في وجود جيل مسلم وسطي معتدل متماسك في زمن تنوع الأفكار ومزاحمتها لعقله وقلبه، فعلياً أن نبذل لهذا الجيل ما يكون سبباً في تحصينه ووقايته من الشر الساكن والمتحرك، حتى لا تنزل قدمه، ويشطح فكره، فيفارق الجماعة بما قد يتشربه من عقائد فاسدة، وأفكار ضالة.

والله أسأل،

أن يحفظ على المسلمين دينهم، وأن يبارك في رجالهم العاملين المخلصين، وعلمائهم الأبرار الطاهرين، كما أسأله تباركت أسماؤه أن يحفظ شباب الأمة وعمادها من الفتن، وأن يصبرهم بالدين الحق ويرزقهم العمل به؛ ليكتب لهم ولأمتهم الفوز والفلاح، والسعادة والنجاح.

والله أعلم

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا وحبيبنا وقدرتنا وقرّة أعيننا

محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين

- (^١) معجم مقاييس اللغة (٤٤٨/٥).
- (^٢) لسان العرب (٩٩/٢).
- (^٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٨٩/٥).
- (^٤) الفروق اللغوية (ص ٥٤٤).
- (^٥) مجموع الفتاوى (٣٧٢/١٦).
- (^٦) العلل للعلی الغفار (ص ١٣).
- (^٧) صفات الله الواردة في الكتاب والسنة (ص ٢٢٣).
- (^٨) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد (٦٩٤٠)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين (١٩٢٦/٢).
- (^٩) مجموع الفتاوى (٤/٣٢).
- (^{١٠}) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي (ص ١٤٨).
- (^{١١}) لسان العرب (١٥٨/٩).
- (^{١٢}) المعجم الوسيط (٤٤٤/١).
- (^{١٣}) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٨٩/٢).
- (^{١٤}) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة (٦ برقم ٢٦٥٢)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة (٧ برقم ٦٦٥٣).
- (^{١٥}) مجموع الفتاوى (٣٥٥/٦).
- (^{١٦}) انظر: التحف في مذهب السلف (ص ٧) فما بعد، ولوامع الأنوار البهية (٢٠/٢)، وفضل علم السلف على علم الخلف (ص ٦٠).
- (^{١٧}) انظر: تنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة (ص ٣٧٢).
- (^{١٨}) انظر: إجماع العوام عن علم الكلام (ص ٥٣).
- (^{١٩}) لوامع الأنوار (٢٠/١).
- (^{٢٠}) انظر: (٢٨٦/٢).
- (^{٢١}) انظر: (١٦/١).
- (^{٢٢}) انظر: (٣٩٩/٢).
- (^{٢٣}) شرح العقيدة الطحاوية (٧٨٦/٢).
- (^{٢٤}) مفتاح دار السعادة (٢٤٢/٢).
- (^{٢٥}) انظر: الرد على الجهمية والزنادقة (ص ١٠٤)، والتنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص ٩٩).
- فما بعد، والملل والنحل (٨٦/١)، ومنهاج السنة (٥٢٦/٢).

- (٢٦) انظر: الملل والنحل (١/١١٩)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٥٢/٦) فما بعد، ورسالة في الرد على الرافضة للمقدسي (ص ١٦٦)، ومذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي (٤٨٧/١).
- (٢٧) الملل والنحل (١/٤٢)، وانظر: البرهان في معرفة عقائد الأديان (ص ٥٠)، وتبيين كذب المفتري (ص ٢٥).
- (٢٨) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد (ص ١٤٨).
- (٢٩) انظر: مقالات الإسلاميين (١/١٥٣)، ومنهاج السنة (٢/٥٠٢)، ودرء تعارض العقل والنقل (٤/١٤٥)، والفرق بين الفرق (ص ٢٢٨).
- (٣٠) منهاج السنة النبوية (٢/٢٤٣).
- (٣١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/٧٢).
- (٣٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٥/١٩٦).
- (٣٣) لواعم الأنوار (١/٩٤).
- (٣٤) بدائع الفوائد (٢/١٨٠).
- (٣٥) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد (١/٢٧٧)، وانظر: درء تعارض العقل والنقل (٢/٣١).
- (٣٦) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية (٧/١٤).
- (٣٧) عقائد السلف (ص ٣٧٤).
- (٣٨) كتاب التوحيد (١/٥١).
- (٣٩) التوحيد لابن مندة (٢/١٣٥).
- (٤٠) فتح الباري (١١/٢٢٠).
- (٤١) رسالة الإمام السجزي في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص ١٢١).
- (٤٢) الحجة في بيان المحجة المحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة (٢/٣٨٣).
- (٤٣) المحموية الكبرى (ص ٢٦٥)، ومجموع الفتاوى (٥/٢٦).
- (٤٤) مجموع الفتاوى (٦/٥١٥).
- (٤٥) بدائع الفوائد (١/١٧٠).
- (٤٦) النخبة للمدينة (ص ٢٥)، والدرر السنية في الكتب النخبية (٤/٥٥).
- (٤٧) مجلة البحوث الإسلامية (١٠/٢٧٩)، ومجموع فتاوى ابن باز (٣/٦١).
- (٤٨) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص ٢٨).
- (٤٩) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (بتعليق الشيخ ابن باز والشيخ الراك) (١١/٢٢٣).
- (٥٠) انظر بتصرف: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص ٢٨).

- (٥١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢٥٠/٧).
- (٥٢) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة (١٠٣١/٣).
- (٥٣) مجموع الفتاوى (٧١/٦).
- (٥٤) مدارج السالكين (١٢٥/١).
- (٥٥) شرح العقيدة الطحاوية (ص ١٢٤).
- (٥٦) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص ١٨).
- (٥٧) شرح العقيدة الطحاوية.
- (٥٨) تعليقات على شرح لمعة الاعتقاد (موقع الشيخ على الشبكة).
- (٥٩) فتاوى اللجنة الدائمة (٣٥٠/٢).
- (٦٠) شرح السفارنية ضمن مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (موقع الشيخ).
- (٦١) المرجع نفسه.
- (٦٢) تقريب التدمرية للعثيمين (ص ٤٧).
- (٦٣) المرجع نفسه.
- (٦٤) المرجع نفسه.
- (٦٥) المرجع نفسه.
- (٦٦) الفتاوى الكبرى (٣٣٧/٦).
- (٦٧) مجموع الفتاوى (٧١/٦).
- (٦٨) شرح العقيدة الطحاوية بتحقيق الألباني (ص ١٠٦).
- (٦٩) تقريب التدمرية (ص ٩٣).
- (٧٠) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم (٥١٩/٢)، والترمذي في كتاب: الفتن (٥١٦/٤)، وأورده الألباني في ظلال الجنة (٢٠٧/١) وصححه.
- (٧١) أخرجه البخاري، في كتاب: الجمعة (٥٢٥/٧).
- (٧٢) انظر بتصرف: القواعد المثلى (ص ٢٠).
- (٧٣) تفسير ابن كثير (٥٦٨/٢).
- (٧٤) العلو للعلي الغفاري (ص ٢٥٣).
- (٧٥) سنن البيهقي الكبرى (٢/٣).
- (٧٦) التوحيد وإثبات صفات الرب (ص ٣٠).
- (٧٧) رسالته إلى أهل النغر (ص ٧٦).
- (٧٨) فتح الباري (٤٠٧/١٣).

- (٧٩) المحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة (٢٧٣/٢).
- (٨٠) الملل والنحل (٩١/١).
- (٨١) لمعة الاعتقاد (ص ٤).
- (٨٢) درء تعارض العقل والنقل (٢٧٩/١).
- (٨٣) العقيدة التدمرية (ص ٣٩).
- (٨٤) مجموع الفتاوى (٥١٨/٦).
- (٨٥) بيان تلبيس الجهمية (٢١٧/٢).
- (٨٦) المرجع نفسه (٢٧٣/٢).
- (٨٧) العلو للعلي الغفاري (ص ١٠٤).
- (٨٨) تفسير ابن كثير (٢٦٩/٢).
- (٨٩) أقاويل الثقات (ص ٨٥).
- (٩٠) لوامع الأنوار البهية (١٩٩/١).
- (٩١) تزيه الشريعة عن الألفاظ الشيعية (ص ٣٣).
- (٩٢) مجموع فتاوى ومقالات العلامة ابن عثيمين (١٢٣/٣).
- (٩٣) تعليقات الشيخ البراك على المخالفات العقدية في فتح الباري (١٣٦/١).
- (٩٤) الروح (ص ٣٧١).
- (٩٥) الجواب الصحيح (٢٥٠/٣).
- (٩٦) العقيدة الأصفهانية (ص ٩٥).
- (٩٧) التبيان في أقسام القرآن (ص ١٠٩).
- (٩٨) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٣٩٢).
- (٩٩) لوامع الأنوار (٣٦/٢).
- (١٠٠) الدرر السنية في الكتب النجدية (٣٧٨/٤).
- (١٠١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (ص ٩٤).
- (١٠٢) درء تعارض العقل والنقل (١٤٥/٤).
- (١٠٣) تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك (٢١/١).
- (١٠٤) لوامع الأنوار البهية (٢٥/١).
- (١٠٥) أقاويل الثقات (ص ٢٣٣).
- (١٠٦) لوامع الأنوار البهية (٢٥/١).
- (١٠٧) شرح الطحاوية للحبرين (ت ١٤٣٠هـ - ١٦٠/١).

(١٠٨) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد (ص ١٣٤).

(١٠٩) الأئمة العقيدية بين الأشاعرة و أهل الحديث (٦٩ فما بعد).

(١١٠) المرجع نفسه.

(١١١) حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (ص ١٧).

(١١٢) الإبانة عن أصول الديانة (ص ٢٠).

(١١٣) جامع بيان العلم وفضله (١٩٦/٢).

(١١٤) شرح السنة (٢١٧/١).

(١١٥) شرح الطحاوية (ص ٧٢).

(١١٦) شرح السنة (٢١٧/١).

(١١٧) المرجع نفسه.

(١١٨) جامع بيان العلم وفضله (١٩٤/٢).

(١١٩) شرح السنة للبرهاري (ص ٣٨).

(١٢٠) مجلة البحوث الإسلامية (٢٤٢/١٩).

(١٢١) جامع بيان العلم وفضله (١٩٤/٢).

(١٢٢) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (١٣٣/١).

(١٢٣) إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول (٣٠٠/١).

(١٢٤) القائد إلى العقائد، وهو القسم الرابع من التشكيل (ص ٧٩).

(١٢٥) العلل للعلي الغفار (ص ٢٥٨).

(١٢٦) سر أعلام النبلاء (٤٧٤/١٨).

(١٢٧) أضواء البيان (٢٩١/٧).

(١٢٨) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٢٠٨).

(١٢٩) أضواء البيان (٢٩٥/٧).

(١٣٠) نهاية الإقدام في علم الكلام (ص ٣).

(١٣١) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٢٠٨).

قائمة المراجع

١. القرآن الكريم.
٢. الإبانة عن أصول الديانة: الأشعري، ط١ (١٣٩٧هـ) دار الأنصار - القاهرة.
٣. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة: ابن بطة، ط٢ (١٤١٢هـ) دار الراية الرياض.
٤. اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية: ابن القيم، ط١ (١٤٠٨هـ) مكتبة ابن تيمية - مصر.
٥. إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول: الشوكاني، تحقيق: البدر، ط١ (١٤١٢هـ) دار الفكر - بيروت.
٦. الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد: صالح الفوزان، ط (١٤١١هـ) القاهرة.
٧. الأزمة العقدية بين الأشاعرة وأهل الحديث: خالد كبير، ط١ (١٤٢٦هـ) دار الإمام مالك.
٨. الأسماء والصفات: البيهقي، ط: ١، مكتبة السوادي - جدة.
٩. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: الشنقيطي، ط (١٤١٥هـ) دار الفكر - بيروت.
١٠. أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات: مرعي بن يوسف المقدسي الكرمي، ط١ (١٤٠٦هـ) مؤسسة الرسالة - بيروت.
١١. إجماع العوام عن علم الكلام: الغزالي، ط١ (١٤٠٦هـ) دار الكتاب العربي - بيروت.
١٢. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار: يحيى بن أبي الخير، تحقيق: سعود الخلف، ط (١٩٩٩م) أضواء السلف - الرياض.
١٣. بدائع الفوائد: ابن القيم، ط: ١ (١٤١٦هـ) مكتبة الباز - مكة المكرمة.
١٤. العرمان في معرفة عقائد الأديان: السكسكي، ط١ (١٤٠٨هـ) مكتبة المنار - الأردن.
١٥. بيان تلييس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية: ابن تيمية، ط/مؤسسة قرطبة.
١٦. التبيان في أقسام القرآن: ابن القيم، ط (١٩٨٢م) دار الكتب العلمية - بيروت.
١٧. تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري: ط٣ (١٤٠٤هـ) دار الكتاب العربي - بيروت.
١٨. التحف في مذهب السلف: الشوكاني، ط/ مطبعة المدني.

١٩. تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك: إبراهيم الطرسوسي - مكتبة الاسكندرية.
٢٠. التحفة المدنية في العقيدة السلفية: حمد بن ناصر، تحقيق: عبد السلام برجس، ط١ (١٩٩٢م) دار العاصمة - الرياض.
٢١. تقريب التدمرية: محمد بن صالح العثيمين، ط١ (١٤١٩هـ) دار ابن الجوزي - الدمام.
٢٢. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع: الملطي، ط١/١٣٨٨هـ.
٢٣. تنزيه الشريعة عن الألفاظ الشنيعة: سليمان بن سحمان.
٢٤. تنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة: التتائي، ط١ (١٤٠٩هـ).
٢٥. التوحيد: ابن مندة، ط٢ (١٤١٤هـ) مكتبة الغرباء الأثرية.
٢٦. الجامع الصحيح: الإمام البخاري، ط٣-١٤٠٧هـ) دار ابن كثير - بيروت.
٢٧. جامع بيان العلم وفضله: ابن عبد البر، تحقيق: زمري، ط١ (١٤٢٤هـ) دار ابن حزم.
٢٨. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ابن تيمية، ط١ (١٤١٤هـ) دار العاصمة - الرياض.
٢٩. حاشية الدرة المضية في عقد الفرق المرضية: ابن قاسم، ط١ (١٤١٦هـ) دار القاسم - الرياض.
٣٠. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة: الأصهباني، تحقيق: المدخلي، ط١ (١٤١٩هـ) دار الراية - الرياض.
٣١. درء تعارض العقل والنقل: ابن تيمية، ط/ جامعة الإمام محمد بن سعود - المملكة العربية السعودية.
٣٢. الدرر السنية في الكتب النجدية: دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط١ (١٤١٧هـ).
٣٣. الرد على الجهمية والزنادقة: أحمد بن حنبل، ط/١٣٩٧هـ، دار اللواء - الرياض.
٣٤. رسالة الإمام السجزي في الرد على من أنكر الحرف والصوت: تحقيق: محمد كرم، ط١ (١٤٠٤هـ) دار الراية.
٣٥. الرسالة التدمرية: ابن تيمية.
٣٦. رسالة إلى أهل الثغر: الأشعري، ط١ (١٩٨٨م) مكتبة العلوم والحكم - دمشق.
٣٧. رسالة في الرد على الرافضة: لأبي حامد المقدسي، ط١ (١٤٠٣هـ) الدار السلفية - الهند.
٣٨. الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي: الأزهرى، ط١ (١٣٩٩هـ) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت.
٣٩. سنن البيهقي الكبرى: البيهقي، تحقيق: محمد عطا، ط١ (١٤١٤هـ) دار الباز - مكة.

٤٠. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة: اللاكاثي، ط (١٤٠٢هـ) دار طيبة - الرياض.
٤١. شرح السنة: البرهاري، تحقيق: محمد سعيد القحطاني، ط (١٤٠٨هـ) دار ابن القيم - الدمام.
٤٢. شرح السنة: البغوي، ط (١٤٠٣هـ) المكتب الإسلامي - بيروت.
٤٣. شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: الألباني، ط (١٣٩١هـ) المكتب الإسلامي - بيروت.
٤٤. شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز، ط/ مؤسسة الرسالة.
٤٥. صحيح مسلم: الإمام مسلم، ط/ دار الجيل - بيروت.
٤٦. صفات الله الواردة في الكتاب والسنة: علوي سقاف، ط: ٢ (١٤٢٢هـ) دار الهجرة.
٤٧. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة: ابن القيم، تحقيق: علي محمد، ط (١٤١٨هـ) دار العاصمة - الرياض.
٤٨. عقائد السلف: النشار والطالبي، منشأة المعارف بالأسكندرية - مصر.
٤٩. العقيدة الأصفهانية: ابن تيمية، تحقيق: إبراهيم، ط (١٤١٥هـ) مكتبة الرشد - الرياض.
٥٠. العلو للعلي الغفاري: الذهبي، ط: ٢ (١٣٨٨هـ) دار الفكر.
٥١. الفتاوى الكبرى: ابن تيمية، تحقيق: محمد عطا، ط (١٤٠٨هـ) دار الكتب العلمية.
٥٢. فتاوى اللجنة الدائمة: اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: الدويش، ط (١٤١٤هـ) رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء.
٥٣. فتح الباري بشرح صحيح البخاري (تعليق الشيخ ابن باز والشيخ العراك): عناية أبي قتية القرطبي، ط (١٤٢٩هـ) دار طيبة.
٥٤. الفتوى الحموية الكبرى: ابن تيمية، ط (١٤٢٥هـ) دار الصميعي - الرياض.
٥٥. الفرق بين الفرق: البغدادي، ط/ دار المعرفة - بيروت.
٥٦. الفروق اللغوية: العسكري، ط: (١٤١٠هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.
٥٧. فضل علم السلف على علم الخلف: ابن رجب، ط (١٤٠٣هـ)، دار البشائر الإسلامية.
٥٨. القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى: محمد العثيمين، ط (١٤٢١هـ) الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.
٥٩. لسان العرب: ابن منظور، ط/ دار صادر - بيروت.
٦٠. لمعة الاعتقاد: ابن قدامة المقدسي، ط (١٤٢٠هـ). وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية.

٦١. لوائح الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية: السفاريني، ط٢ (١٤٠٢هـ)، مؤسسة الخافقين - دمشق.
٦٢. مجلة البحوث الإسلامية: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
٦٣. مجموع فتاوى ابن تيمية: ط/١٤١٦هـ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية - المملكة العربية السعودية.
٦٤. مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز: أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويهر.
٦٥. مدارج السالكين: شمس الدين ابن القيم، تحقيق محمد حامد فقي، دار الكتاب العربي، بيروت.
٦٦. مذاهب الإسلاميين: عبد الرحمن بدوي، ط١ (١٩٧٣م) دار العلم للملايين.
٦٧. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة: الأحمدي، ط١ (١٤١٢هـ) دار طيبة - الرياض.
٦٨. المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، ط/ دار الدعوة.
٦٩. معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، ط (١٣٩٩هـ) دار الفكر.
٧٠. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: ابن القيم، ط/ دار الكتب العلمية - بيروت.
٧١. مقالات الإسلاميين: الأشعري، تحقيق: محمد محي الدين، ط (١٣٨٩هـ) مكتبة النهضة - مصر.
٧٢. منهاج السنة: ابن تيمية، طبعة جامعة الإمام.
٧٣. النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، ط/ دار الفكر.
٧٤. والملل والنحل: الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد، ط (١٣٨٧هـ)، دار الاتحاد العربي - طبعة دار المعرفة.